

فيلجيري

الاستعمار والامبريالية ومحاولة سيطرتهما اللغوية

بقلم: محمد بلقاسم خمار الأمين العام لاتحاد الكتاب الجزائريين

ARCHIVE

ولو القننا قليلا الى الماضي وتابنا الاحداث
بمحاولة، والوقوف على الظروف التي عاشها الشعب
الجزائري، طيلة مائة وثلاثين سنة تحت سيطرة
الاستعمار الفرنسي لاخذنا العجب كيف استطاع هذا
الشعب ان يصد كل ذلك الصود، ومن اين كان يستيد
كل تلك الحوافز والمقومات التي حافظ بها على شخصيته
وكيانه، وثورته ونضاله .. وطبعاً ... بالتعمق في
التحليل والاستقصاء سندرك جل المقومات الاساسية
التي تنبني عليها شخصية الشعب الجزائري، وسنجد
ان اللغة تنبوا مكان الطليعة بين تلك المقومات.

وهنا ارى من الضروري الاشارة الى ان اللغة
الوطنية لدى الشعب الجزائري لا تشكل فقط وسيلة
للتعبير او رمزا للظهور، او حلقة للربط بين الماضي
والحاضر بل هي بالاضافة الى كل مهام اللغة تحتل مكان
الحب والاحلال في ضميره ووجدانه وتمثل لديه الموئل
الوحيد، والمصدر السليم لدينه، وممارسته شعائره
الاسلامية .. انها لغته وفي الوقت نفسه لغة الله التي
انزل بها القرآن كتاب الاسلام للمسلمين .. من هذه
الزاوية الهامة حيث يمتزج مفهوم اللغة مع الدين يتجلى
انا جانب من اسرار ثبات الشخصية الجزائرية وبقاتها

من المتفق عليه ان الاستعمار القديم او الابريالية
وما يتفرع عنها من استعمار جديد وتبعية وتزجيم للغة،
ليست في حقيقة مجموعها - وفي كل زمان ومكان -
سوى استعمار واحد بتأثيراته، واهدافه وغاياته، وان
اختلفت نوعته واساؤه لاختلاف وسائله واساليبه وتبعها
للتطور الحضاري بصفة عامة.

ومما لا ريب فيه اننا لو اردنا ان نأخذ شعبا ما
كعينة او دليل للمعاناة المستمرة الطويلة وللصراع الاليم
القاسي مع الاستعمار بشتى صوره واشكاله فاننا سنجد
الشعب الجزائري في مكان المصدرة الى جانب الشعوب
التي فتحت عليها اعين المستعمرين واستهوت جشعهم
وطماعهم، وداهيت جحافلهم بكل ما تحله معها من
وحشية وشراسة، ومن قمع وظلم، واستغلال،
واستبداد.

كما اننا سنجد في الشعب الجزائري على مدى
تاريخه العريق في الكناح اروع الامثلة للبطولة والصبر
وللنضال المستتب، وعظمة التضحيات والمقدرة على
الصمود امام كل عواصف الابادة والذوبان والنشيت
والنشويص، التي سلطت عليه من طرف الغزاة،
المستعمرين.

متشبهة بلقنتها رغم ما بذل الاستعمار من جهد لمحوها والقضاء عليها .

لقد كان الاستعمار الفرنسي يدرك منذ احتلاله للجزائر انه بدون القضاء على اللغة الوطنية للشعب ، لا يستطيع ان يثبت اركانه ، ويحقق هدفه في جعل الجزائر جزءا من فرنسا في ما وراء البحر ، كما انه لم يكن يتوقع أية فائدة - باديء الامر - من ان يستبدل للجزائريين لغتهم بلقنته ، وثقافتهم بثقافته ، لذلك وجه كل امكانياته النظرية للقضاء على جميع المؤسسات الثقافية التي وجدها في الجزائر ، ثم سلط ويلاته على اللغة الوطنية ، وكل من يحاول التعامل بها أو الاهتمام بدراستها أو نشرها ..

ومن المعروف ان الجزائر كانت قبل الاحتلال الفرنسي،وطناً زافيا مزدهرا ، تنتشر الجامعات والمعاهد في مختلف أرجائه . ويؤمّه رجال العلم من كل مكان ، وهذا ما يؤكده مؤرخ من فرنسا نفسه حيث يقول المؤرخ بولار : « كانت للجزائر في القرنين الرابع والخامس عشر ، مراكز ثقافية مزدهرة تدرس فيها الفلسفة والاداب والعلوم المختلفة،من طب وفلك وسياسة،وغیرها .. ».

ويقول السينايتور كومب : « كان في الجزائر عند احتلالها أكثر من ألفي معهد ثانوي وعالي » . ويقول أوربان : « ان نسبة الامية في الجزائر سنة ١٨٣٠ كانت اقل مما هي عليه في فرنسا في ذلك الوقت .. » .

ولكننا بمقارنة بسيطة لما بلغته نسبة الامية بين الجزائريين في بداية النصف الثاني للقرن العشرين ندرك مدى الجربة البشعة التي ارتكبتها المستعمرون في حق ثقافة الشعب الجزائري ، وفي حق تطور لغته الوطنية، اذ قد اثبتت الاحصاءات الفرنسية سنة ١٩٥٥ ان الامية بلغت عام ١٩٥٤ في الجزائر ٩٤٪ بين الرجال ، ٩٦٪ بين النساء ..

وبالفعل فان التعليم كان قبل نهاية القرن التاسع عشر محروما على جميع الجزائريين باستثناء بعض الزوايا التي كانت تقوم في أماكن متباعدة داخل التراب الوطني ، وتحت رقابة وتسيير السلطات الاستعمارية لغاية تشويه اللغة الوطنية،ونشر الخرافات والمغالطات بين أبناء الشعب ، مما كان يرغم بعض المواطنين على التخلي داخل الكهوف والمغارات وبين اشجار الغابات من اجل حفظ القرآن ، ومراجعة قواعد دينهم ولغتهم ، وترانيمهم من الانتطاع الكلي من الثقافات المحصرة ... ودفع البعض الى التسلل عبر الحدود والهروب خارج الجزائر طلبا للعلم في جامعات الزيتونة والقرويين والازهر .

لقد عجز الاستعمار الفرنسي عن القضاء نهائيا على اللغة الوطنية ، وان كان قد استطاع عرقلتها وتجييدها كما انه عجز عن اعادة الشعب الجزائري ابداعا كاملا وان كان قد استطاع الى حد ما تأخير عن مسابقة ركب الشعوب الناهضة ، ولربما كان ذلك الوضع يلبي رغبة، ويحقق غاية للمستعمرين في تصورهم عدم تمكن الشعب الجزائري من القيام بأية حركة فعالة تنقده الى الانتماء ، وبذلك تنوغر لديهم الايدي المجانية العاملة ، الى جانب ثروات البلاد الهائلة وبالتالي احلامهم في امتلاك الجزائر الى الابد ..

وامعانا من الاستعمار في محاربة اللغة الوطنية قام سنة ١٩٠٤ بامصدار قانون جائر يخطر على اي جزائري تعلم اللغة العربية ، ويحصر انشطة التعليم ضمن الشروط التالية :

- اقتصار التعليم على حفظ القرآن فقط .
- عدم التعرض لتفسير الإبيات الداعية الى التحرر والجهاد .
- منع دراسة التاريخ الجزائري، والعربي الاسلامي بصفة عامة .
- استبعاد دراسة الادب العربي بجميع فنونه .

وقد سادت هذا القانون التعسفي عمليات قمع قاسية أحادية الدين الاسلامي ، وحصوله الدس والتشويه فيه . وغلغ المساجد التي كانت محل عبادة وتعليم .

وتفخولها الى كتانس ، ومنع خروج الجزائريين لدراسة اللغة العربية في الدول الشقيقة ، وجعل كل المعاملات والشؤون الادارية والاقتصادية والتعليمية في الجزائر مسيرة باللغة الفرنسية .

لقد كانت اهم توصية وجهها قادة الاحتلال الفرنسي لجيوشهم الزاحقة نحو الجزائر عام ١٨٣٠ هي قولهم : « علّموا لغتنا وانتشروها حتى تسيطر على الجزائر فاذا حكمت لغتنا الجزائر غدت حكيماها » .

ورغم جور هذه التوصية ، فان الذي حدث هو حرمان الجزائريين من ثقافتهم ولغتهم ، وحتى من ثقافة ولغة وطن المستعمر اللهم الا في حالات ظلية نادرة ، ذات مستوى محدود تستدعيها حاجات المستعمر في علاقاته الفوقية مع أبناء الشعب ، الذين كان يعتبرهم دون المستوى البشري في القيمة .

وها هو المستشرق ويليام ماري يقول في تقرير له سنة ١٩٣٠ : « بعد تجارب عديدة تكونت الجزائر اثناء القرن التاسع عشر من ثلاث مقاطعات فرنسية ، واستوطن بها عدد كبير من الفرنسيين واخضعت الادارة

المباشرة التي استعملت في كل فروع نشاطها للغة الفرنسية طبعاً .. ولما أقمنا نظماً تعليمياً للأطفال الجزائريين فأننا لم نقرأ حساباً البتة للغة العربية في المدارس الابتدائية الخاصة بالأهالي .. »

وفي نفس التقرير يقول المستشرق مارسى : « انه ليس من الممكن ولا من المعقول بل انه من النادر أن تتعاشى لغتان حضارتان في بلاد واحدة .. »

ولا أدري اذا كان قد غاب عن ادراك الفكر وليملم مارسى بأنه ليس من الممكن أيضاً أن تقتضي لغة حضارية على لغة حضارية أخرى بواسطة الاضطهاد والتعذيب والسجن ... بواسطة القوة .. خاصة اذا كانت تلك اللغة المظلومة المضطهدة تشكل الوعاء لديانة يعتنقها مئات الملايين من المسلمين ، وتعتبر وسيلة التعبير الوحيدة لعشرات الملايين من العرب خارج الجزائر . وتنبئ بالنسبة للشعب الجزائري اهم دافع للتحدي من اجل بقائه وحماية تراثه وعاداته وتقليده ، ووحده ، وتطلعاته نحو المستقبل الافضل ..

هذا بالإضافة الى ما كتفزه اللغة العربية في ذاتها وقرائنها من قيم حضارية خالدة ، ما زالت الانسانية الى حد الآن تستنير بآثارها وأجادها .

يقول الاخ الدكتور حنفي بن عيسى حول موضوع التعسف اللغوي : « ان المقصود بالتعسف اللغوي هو فرض لغة دخيلة لكي تحتل محل لغة أهل البلاد ، وأكثر ما يكون ذلك في حالة الاستعمار الطويل ، لأن اللغة المستعصفة تدافع عن نفسها .. »

ويوضح الاخ حنفي امكانية ذلك الدفاع على أساس مقدرة اللغة الكابنة في معيبتها على المقاومة نتيجة لمكانتها الحضارية ، ثم أن اللغة قد تلجأ الى اكتسائ الطابع الديني خلال ظروف الخطر ..

وفعلنا فان الذي وصلت اليه اللغة العربية أيام الاحتلال انها كانت في بعض الاحيان تصبح بين المعتقدات الدينية المقدسة ، وحتى حروفها الإيجدية أصبحت توحى للمواطين بشيء من الاجال تنزّه بواسطته عن كل احتقار أو اهمال ، « وانني اذكر ان الرجال الكبار في السن كانوا يؤمنون بشدة وتالم عندما نرى حروفا عربية مكتوبة في ورقة ما .. ملقاة على الأرض ، ولا نحملها ونخفيها في مكان طاهر أمين .. »

وأعود الى الدكتور حنفي اذ يقول : « وكاني باللغة في الظروف الطارئة التي تهدد فيها بالزوال ، كاني بها تنتقل في ضمير الشعب من الشعور المباشر لترسب الى اعماق النفس البشرية حيث تمكث هناك الى أن

تتاح لها الفرصة عندما تنقش الغيوم وتزول الطواريء لتبرز من جديد الى ساحة الشعور المباشر لكي تصبح كما كانت لغة التعامل في الحياة اليومية » .

واتصافاً للحقيقة والتاريخ يجب ان نسجل بكل امانة ان اللغة العربية في الجزائر ظلت هي لغة المنزل والشارع لدى الاغلبية العظمى من أبناء الشعب طيلة عهد الاستعمار الفرنسي في بلادنا . وان الذين كانوا يستعملون الفرنسية في بعض شؤون حياتهم اليومية انما هم فئة قليلة ارتبطت لسبب ما بالمعربين او الادارة الاستعمارية ، وقلة قليلة جداً ممن ساقطتهم الظروف او ساعدتهم .. للوصول الى مرتبة التعليم العالي باللغة الفرنسية داخل الجزائر او في فرنسا ..

اما في البادية وفي الارياف فان اللغة العربية كانت هي السائدة بصفة تكاد تكون مطلقة .

وهنا ارى ضرورة الإشارة والتوضيح الى ان اللغة العربية التي اعني بقولي انها كانت سائدة انما افقد بها اللغة العامية لا اللغة الفصحى التي كانت انذاك مختصرة على أنشطة الشؤون الدينية وتعليم الزوايا ، وخلافاً لبعض الصحف المحلية .. خاصة قبل الحرب العالمية الاولى ..

والشيء كذلك الى ان استعمال اللغة الفصحى في المخابرات العادية للجماهير العربية قد تقلص واختفى تدريجياً معجدة ، وحتى قبل عصر الانحطاط ، نتيجة لعوامل كثيرة معروفة .. وان استعمال العربية الفصحى اصبح لا يتعدى مجالات التعليم ، والشؤون الثقافية والادبية ، والاعلام ، والخطب واللقاءات الرسمية ، باعتبار ان الفصحى هي اللغة التي يفهمها الجميع ، وهي التي يتم بواسطتها تجاوز مختلف اللهجات العربية المحلية التي ربما لا يمكن التفاهم بواسطتها لو تم اختصار عليها ، نظراً لاختلاف تعابيرها ومعانيها ، ولكونها بحكم بنيتها البسيطة تقف عاجزة امام متطلبات التعبير في مجالات الثقافة والعلم .

ومن الديهي فان ضعف ، أو جود لغة ما ، انها يعود الى تخلف وتأخر الناطقين بها .. والمستعملين لها ، وليس العكس .

وكما يؤكد بعض علماء الاجتماع فان الفكر ليس سوى لغة مستترة .. تجري داخل النفس ، بعيداً عن حركات الشهادة .. واذاً فان تأخر الفكر يؤدي بطريقة منطقية الى تأخر اللغة وتطوره وتقدمه يؤدي الى تطور اللغة وتقدمها .

وهذا بالفعل ما نلاحظه ابان انطلاق الحركة

ان ما ذكره الاخ الرئيس ينطبق علما ، وبصورة ايجابية على المبادئ الاساسية لثورتنا التحريرية حيث اكدت بان الشخصية الوطنية لا يمكن اعتبارها متمتعة بسيادتها واستقلالها الكابليين اذا لم تستمرح كل مقوماتها الطبيعية ، وفي مقدمتها اللغة الوطنية .

— وقد جاء في المنهج السياسي لمؤتمر الصومام ٢٠ اوت ١٩٥٦ : « لقد حقق الاستعمار انقاس اللغة العربية التي هي اللغة القومية ، لغة الاغلبية الساحقة من السكان ، ومحا تعليمها العالي ، محو كليا منذ بدء الاحتلال بتشيت شمل الاساتذة والطلاب .. » .

— كما جاء ايضا في القوانين الاساسية لجهنة التحرير الوطني « ... وستكون الثقافة الجزائرية ثقانة وطنية وثورية وعلمية » .

ان دورها كثقانة وطنية يتمثل في مرحلة اولى في اعطاء اللغة العربية المعبرة الحقيقية عن القيم الثقافية لبلاننا — كرامتها ونجاحاتها كلكغة حضارة — لذلك فانها سوف تعيد بناء التراث الوطني وتقييمه والتعريف بآلياته المزدوجة : القديمة والحديثة لادخالها غسي الحياة الفكرية ، وتربية الشعور الوطني ، وهكذا فهي ستجارب البيئة الثقافية ، والتاثير الغربي اللذين ساهبا في تلحق الكثير من الجزائريين احتقار لغتهم ، وتقييمهم الوطني .

من هذه النقطة الاخيرة يمكنني الان ان اتطرق باختصار الى الهجوم العنيف الذي شنته الابريالية واتباعها ضد اللغة الوطنية في الجزائر وخاصة بعد عام ١٩٦٢ اي بعد الاستقلال .

لقد حاول الاستعمار ان يعزل فئات الشعب عن جند ثورته المسلحة بجميع الوسائل ومن بينها محاولة استدراكه لتعليم ابناء الشعب اللغة الفرنسية حسب اساليب نفسية مخربة .

ولكن بعد اعلان الاستقلال مباشرة وبعد انسحاب الجيش الفرنسي من التراب الوطني انسحبت معه كل الاطارات الادارية الفرنسية .. وقد كانوا يمتدحون بان انسحابهم ذلك سيسع الجزائر في غوضي لا نظير لها .. الا ان الواقع كان عكس ذلك واستطاعت الدولة الفتية ان تبأشر مسؤولياتها وتسير شؤونها بكل دقة واتسباط .. وهنا يجب ان ننوه ببعض المساعدات المجدية التي جاءتنا من طرف بعض الدول الشيوعية والصديقة .

وعندما خاب امل الابريالية والاستعمار في عرقلة مسيرة الثورة الاشتراكية في الجزائر انقلب سعيهم الى

السياسية والحركة الاصلاحية في الجزائر منذ بدايات مطلع القرن العشرين حيث تحول شمال الجساهر الشعبية بقيادات النخبة الواعية من اسلوب الدفاع السلمي عن اللغة الوطنية بطرق التسير والتخفي الى طريقة التحدي المريح والنضال الايجابي الواضح ، والساعي الى استعادة اللغة العربية كشرط اساسي لبلورة الشخصية الوطنية واستقلالها ، وتمييزها من كل لبس او تحريف ، او ازدواجية .

وبوها قالها الاسم عبد الحميد بن باديس بكل شجاعة : « الجزائر وطنية ، والاسلام ديني ، والعربية لغتي » . كما قال في موقف اخر : « تكاد لا تخلص امة من الالم لعرق واحد ، وتكاد لا تكون امة من الالم لا تتكلم بلسان واحد ، فليس الذي يكون الامة ويربط اجزاءها ، ويوحد شعورها ، ويوجهها الى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة ، وانما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد .. » .

وهو تهايا ما ينطبق على ما جاء به الدين الاسلامي وما قاله الرسول العربي : « ايها الناس ان الرب واحد ، والاب واحد ، وان الدين واحد ، وليست العربية بالحدكم من اب او ام وانما هي اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي .. » .

وقال بن باديس ايضا : « ان الجزائر لم تكن فرنسا وليست فرنسا ، ولا يمكن ان تكون فرنسا ، ولا تريد ان تكون فرنسا .. » .

وعلى ضوء هذه الصراحة الشجاعة انطلق الشعب في معركة هجومية حامية الوطنية يشيد المدارس الشعبية وبجابه غطرسة المستعمرين ، وراسصهم ، واعتداءاتهم ، وقويدهم ، واخذت افواج الشباب تنسرب بالعشرات الى البلدان العربية من اجل الدراسة الى ان اندلعت ثورة اول نوفمبر عام ١٩٥٤ حيث بدأت اللغة العربية تتبوأ مكان السيادة في المعاملات والحياة اليومية للشعب وللثوار الاحرار .

جاء في كلمة الاخ الرئيس هوراي يومين بمناسبة انعقاد الندوة الوطنية الاولى للتعريب سنة ١٩٧٥ قوله : « اننا اذا التفطنا الى قضية تعريب الحياة اليومية ، والمؤسسات التعليمية فاننا ننادي بهذا ونعمل من اجل تحقيقه ولم ننتظر عام ١٩٧٥ لكي نتكلم عن تعريب الحياة اليومية ، واذكر اننا في الاجتباعات التي كانت تمتد اثناء حرب التحرير كنا نحاول التحدث باللغة العربية كجزء من عملية الكفاح ضد الاستعمار ، وكان من بيننا عدد لا يحسون العربية ، ومع ذلك كانوا يبذلون جهدا كبيرا لاستعمال اللغة العربية » .

- ٤ — انها لغة أدب لا لغة علم .
 - ٥ — انها لا تعبر عن الثقافة الجزائرية بصورة كاملة .
 - ٦ — انها لغة التراث ، والتراث لا يفيدنا الآن .
 - ٧ — اذا كان لا بد منها ، فالاحسن استعمال اللغة العامية .
 - ٨ — انها لا تحتاج الى تخطيط من اجل احيائها لان تقدم الارياف سيفرضها تلقائيا في المدن .
 - ٩ — محاولة ان تتم محاربة الابهية بلغة حية كالفرنسية .
 - ١٠ — تعليم العربية حسب الاعمار .. أي عدم جدوى تعليمها للكبار ، العالين باللغة الفرنسية .
 - ١١ — ترك عملية الاهتمام باللغة العربية الى المستقبل وبدون تحديد ، وهو كئيل باحيائها .
 - ١٢ — تأجيل عملية تطوير اللغة الى مرحلة ثانية بعد أن يتطور الانسان الجزائري بواسطة لغة حية أخرى وهي طبعيا الفرنسية نظرا للروابط التاريخية التي تصلنا بها .
 - ١٣ — اللغة العربية سببة انتواعد ، معتدة الحروف ولا تتناسب مع البساطة التي يتطلبها التعليم الحديث .
- الى غير ذلك من التهم والادعاءات والتي لا تقوم على أي اساس منطقي معقول مما يؤكد خبث التسمير الإمبريالي ، وتغاضة وجهل العاملين في ركابه ، والداعين له ، المهيمنين لهيئته وسيطرته على الشعوب ، وقسي طليعتها الشعوب التقدمية الثورية الاشتراكية .
- ولعل أبرز رد حاسم وكان ضربة قاسية وجهها الشعب الجزائري بقيادته وكل فئاته الى كل متآمر على لغته الوطنية هو ما اقره وصادق عليه في ميثاقه الوطني باعتباره المصدر الرسمي لسياسة الامة وقوانين الدولة ، والساري المفعول منذ ٥ جويلية ١٩٧٦ حيث جاء في بابه الثالث تحت عنوان : الثورة الثقافية ، بخصوص اللغة الوطنية ما يلي :
- « ان اللغة العربية عنصر اساسي للهوية الثقافية للشعب الجزائري .. ولا يمكن فصل شخصيتنا عن اللغة الوطنية التي تعبر عنها . ولهذا فان تعميم استعمال العربية واتقانها كوسيلة عملية خلاقة ، يشكلان احدى المهام الاساسية للشعب الجزائري في مجال التعبير عن كل مظاهر الثقافة ، وعن الايديولوجية الاشتراكية وان الجزائر باستعادتها توازنها من خلال التعبير عن ذاتها الوطنية ، بالاداة المشروعة الاصلية ، والمحكية التهجيز ، تساهم في اثراء الحضارة الانسانية بصورة افضل ، ويستفيد في نفس الوقت عن دراية من مكتسباتها وخبراتها . ان الخيار بين اللغة الوطنية واللغة الأجنبية ، امر غير وارد البتة .. ولا رجعة في ذلك ... » .

اسلوب اخر يتبذل في الاعراب عن استعدادهم لمدننا بالخبراء ، والمساعدين الفنيين والمعلمين ، وبسبل من هدايا الكتب ، والمجلات والانامل ، وبالتحريض الى اهمية وضرة انضمامنا الى مجموعة الدول الفرنكوفونية .. كل ذلك من اجل ان نتخل عن لغتنا الوطنية ، ونستبدلها باللغة الفرنسية .

وقد بلغ الامر بالرئيس الراحل ديغول ان أعلن للشباب الفرنسي ، بأن كل من يذهب لتعليم الفرنسية في الجزائر سيعفى من اداء الخدمة الإجبارية ..

وهنا تجدر الإشارة الى ان فرنسا — رغم ما كان يبدو من استعدادها لمساعدتنا — فاتنا لم تكن في يوم من الايام مستعدة لمدنا بالاطارات ذات الكفاءات التعليمية والتربوية ، ولا بالاطارات ذات الاختصاصات التكنولوجية والعلمية وان كل ما يهبها هو ان ننطق بلغتها بدل لغتنا وكفى .

ان الحديث قد يطول جدا لو تبسطت فيه بالتفصيل عما بذلته الإمبريالية والاستعمار من مؤامرات ودسائس لمحاربة اللغة العربية في الجزائر .. ولا شك ان التهجمات ما زالت قائمة ، وان معركة اللغة الوطنية لم تنته بعد .. الا ان ما بذلته الثورة ، وما زالت تبذله للحفاظ على لغتها ، ودعم كتابتها ، وتطويرها ، يؤكد لنا ، ولكل مطلع ، ان جميع المحاولات الرامية الى عزل اللغة العربية ستبوء بالفشل .

ان الملايين من تلاميذ المدارس والاطال الماهدين والجامعات ممن اصبحوا الان يستعملون لغتهم الوطنية ببراعة في اغلب فروع المعرفة والعلم ، هم خير ضمان لسيادة لغتهم ، وتطويرها ، وانطلاقها ..

كما ان الجهود التي تبذلها القيادة الثورية ، وحزب جبهة التحرير الوطني بمختلف اجهزته ومنظماته .. وجميع المؤسسات الوطنية الاخرى . ان كل تلك الجهود قد اتت بثمارها ، واصبحت تشكل في كل يوم قوة ودفعا جديدا لازدهار لغتنا الوطنية .

لقد حاولت الإمبريالية عن طريقة الاشاعات والدس ، ان تبث في النفوس الكثير من الشكوك حول جدوى اللغة العربية ، والصقت بها اتهامات كاذبة باطلتها منها :

- ١ — ان من يدعو الى اللغة العربية هو انسان متعصب لمذهب ما ..
- ٢ — ان اللغة العربية لغة متأخرة ، واستعمالها يعرقل المسيرة التقدمية للبلاد .
- ٣ — انها لغة عبادات فقط ، ولا تصلح للحياة .

العرب في زمن الصداق

شعر

عمر

البرناوي

حين الظلام يعتلي منصة الصباح
وتعقب الاشواك بالمعطور
وحين تفرد القربان
وتخفي الذئاب في سمالة الفلاح
اصدق المداال
اصدق المداال
اصبح : لا عجب
اذا امتطى اليهود والقروذ
قيادة العرب .

* * *

الشمس في مشرقها

تلمتنا

لاتنا نيام

نقبل بالمهانة

نمجد الشجاع والجبان

تلن في شبائنا وشيئنا

مضيعة الانسان

والشمس في غروبها

تطلع المראה ،

تود لو تذيب في العدم

ولا ترى في دربها هذاعة الخسارة

تود لو تزيح عن رايئنا ستارة

تود لو تسير في نفوسنا الحرارة

فننفض القبار

ونعرف النهار

لكننا نفوسنا من طينة

لا تعرف التفاعل

فينظفي اشعاعها

يذوب في انكسار

* * *

رداءة الايام والاقوام

تشد من هاماتنا

فلا نرى غير السيوف

اسطورة نقاتها على الرفوف

نصنعها اتقعة واردية

وادرعا تصد عنا الداهية

وخاتما يعيد نظر « الابنية »
نصنع من سيفونا الاسطورة
تهائم القردوس
نطمع من صليلها البطون والمقول
وان اردنا
نخق النفوس
رداءة الايام والاقوام في اعناقنا
توحد الصفوف
لكننا ..

لكل صف دار

لكل رهط بيننا مسار

لكل قزم بيننا اختيار

يا ضيعة الديار والمسار والشعار

في مفرق الطرق

رداءة نخنقا

وغربة تعشقنا

سهاوها حبراء

وارضها حبراء

نقيه في رحابها الريحه

نفيع في جنانها الفسيحة

نبعث عن نفوسنا

ديارنا

لاشيء

ياضيعة الانسان

في غربة

تصارع الزمان

تحارب الطفيان والهوان

لكنها

تكفر بالالوان والاديان والرحمن

* * *

شموسنا ظلام

نضالنا كلام

« نحن اللذن صبحوا الصباها »

صرنا من النيام

* * *

مشرقنا مزق مشلول

مقربنا مشتت معلول
وان بدأ مدجل
كنا له الذفوف والطبول

* * *

يا اخوتي من نحن ؟
ما لونس ؟ ما طعننا
وما الذي تصنعه عقولنا ؟
وما الذي نكره او نحب
وما الذي تفيده الحياة من عرب ؟
من « كان » لا يكون ؟
وقادة تعشق اي لون
وفتية لا تعرف الحراك والتحدي
وتعشق السكون
من ياترى تكون ؟
ما لونس ؟ ما طعننا ؟
وما الذي تصنعه عقولنا
وما الذي نريد ان نكون ؟

* * *

سيقرا الاطفال ذات يوم
كان العرب .. في زمن الصاروخ
من الخليج للمحيط
العوبة للعالم الغربي
يلهو بها المعجوز والصبي
« عروسة » مفجلة
يزني بها الاحباب والاقارب
تحرسها الذئاب والارانب
ينال من حرمتها الاجانب
سيقرا الاطفال ذات يوم
« كان العرب في زمن الصاروخ
من المحيط الى الخليج »
نوارهم
يقربهم التلفاز والمذياع والجرائد
وشعبيهم
مهلل مبارك مساند
مصفق مناصر مجاهد
مطبل مزمر وصائد

بكل شبر دولة .. وقائد
لا يجمعون الراي والاقوال والانفعال
الا مع الاعراس والموائد

* * *

سيقرا الاطفال ذات يوم
كان العرب في زمن الصاروخ
من المحيط الى الخليج
قد مسهم ضرر
في مصدر الاحساس والنظر
لا يفرون لسعة من سيمة
او عزة من وصية
لا فرق في منظورهم بين الثرى ونجمة
او ثائر مجدّد وخائن لامة

* * *

تساوت الاحداث والاشياء
واختلط الظلام بالضياء
وهانت الاموات والاحياء

هل يا ترى ..
نحن جذوع تحترق
ونبتة لا تنمو
ونجمة مستترّة

ضياؤها لا يبهر ؟
قال شاعر :
ليتني كنت خطابا فاهوي على الجذوع بفاسي
واقول :

يا ليت لو يتوقف الزمان
وما يقرأ عنا الناس هذا العار والهوان
* * *

يا اخوتي
من يا ترى يبعث في نفوسنا الامل
ليقتل في نفوسنا الفشل
من يا ترى سيقرا الاطفال ذات يوم
بانه كان البطل ؟

عمر البرنساوي
مسؤول الشؤون الثقافية في اتحاد الكتاب
ورئيس تحرير مجلة الوان الشهرية

نشأة الصحافة العربية وتطورها في الجزائر



د. عبد المالك مرياض
<http://Archivebeta.Sukhrif.com>

تعميما للفائدة وتغطية لقطاع هام من قطاعات
صناعة الرأي العام في جزائرنّا العربية فقد رات هيئة
التحرير نقل الدراسة المطولة عن « نشأة الصحافة
العربية وتطورها في الجزائر » للدكتور عبد المالك مرياض
المنشورة في مجلة « الثقافة » التي تصدرها وزارة الاعلام
و الثقافة بالجزائر ، (العدد ٣٣ من السنة السادسة) .

١ - نشأة الصحافة العربية في الجزائر :

لقد اتيح للجزائر ان تعرف صحافة عربية للسان،
لاول مرة ، في العقد الخامس من القرن التاسع عشر .
ذلك بأن الفرنسيين حين احتلوا الجزائر وجدوا انفسهم
مضطرين الى انشاء صحافة تنطق باسهم ، وتعبّر عن
ارائهم ، فتخدم بذلك اهدافهم الاستعمارية التي كانت
تمثل في السيطرة على حركة الاجسام ، وتفكير العقول،

لدى الجزائريين حتى لا يجدوا منفذا للخلاص من هذا
الاستعمار الضاري .

وبذلك تكون الجزائر ثاني بلد عربي يعرف
الصحافة ، بعد مصر التي عرفتها في سنة ثمانمائة والف،
حيث انشأ «بابليون» في حبلته على مصر جريدة «التنبيه»
التي لم تعمر الا زمنا قصيرا . وثاني صحيفة عربية
اللسان ، هي « الوقائع المصرية » التي انشأها محمد

على (١) . فجريدة « المبشر » إذن ، هي ثالث جريدة برزت الى الوجود في الوطن العربي كله .

ولكن لغة الصحف الناطقة بالعربية في الجزائر ، بحكم سيطرة الفرنسيين عليها اول الامر ، لم تكن سليمة ولا فصيحة ، وانما كانت ذات الفاظ ركيكة ادنى الى العالوية منها الى الفصحى . ولا احسب ان الباحث يستطيع ان يظفر فيها بمقالة واحدة جيدة . ويعود ذلك حسب تقديرينا الى عوامل ، لعل من أهمها :

١ - ان المستعمرين الفرنسيين لم يكونوا يجدون من يتعاون معهم من المثقفين الكبار ، والكتّاب المقتردين . لان المستعمرين كانوا اعداء الداء للوطنيين الجزائريين الذين كانت ثورتهم تشتمل خلفه .

٢ - ان المستعمرين الفرنسيين لم يكونوا يبالون اسلوب هذه الصحف ، ولا يكتثرون بلغتها ، لان قصدهم لم يك احياء العربية وتطويعها وخدمتها وتسخيرها للكتابة ، بقدر ما كان ممتلا في الاهتمام والتبليغ .

٣ - ان الفرنسيين كانوا حراسا على ان يفهمهم اكبر عدد ممكن من الاهالي في الجزائر . والجزائريون اتفقوا ، لم يكونوا في تلك الفترة اولى مستوى ثقافي عسقي ، لان الاحتلال كان قد اتى على الحرب والنكس ، والاخضر واليابس ، فهاجر معظم العلماء الى الخارج ، واستشهد من لم يهاجر ، من حيث شيق الاستعمار على من لم يجد سبيلا الى الهجرة او الاستشهاد .

فكان ينتظرا ، والحال هذه ، ان تكون لغة الصحف الفرنسية التي كانت تتخذ من اللغة الجزائرية لسانا لها تنطق به ، واشهره اطلاقا « المبشر » ضعيفة ركيكة طورا ، وسوقية عالية طورا ثانيا .

بيد ان مما يلاحظ ان الفرنسيين كانوا ينشئون صحنهم باللغتين العربية والفرنسية ، وهم الذين سنوا هذه السنة الفاسدة في الجزائر ، فقلدهم بعض الوطنيين الجزائريين حين جاؤا بمصردن صحفا وطنية ، كالامير خالد الذي انشأ جريدة « الاقدام » باللغتين . ومن ذلك انشأؤهم صحيفة « المبشر » التي كانت تصدر باللغتين .

وقد صدرت هذه الجريدة الاستعمارية في خامس عشر من شهر سبتمبر سنة سبع وأربعين وثمانمائة والف وظلت تصدر طوال ثمانين عاما . اي انها لم تتوقف الا في سنة سبع وعشرين وتسعمائة والف (٢) . وكانت هذه الجريدة تنشر الاوامر الادارية والتشريعات الفرنسية ، كما كانت تحاول بث الدعاية لصالح الفرنسيين في صفوف الاهالي الجزائريين (٣) .

ولم يك لهذه الجريدة من العروبة الا لفتها . اما روحها فقد كان فرنسيا استعماريًا محضا .

وما ذكرنا هذه البذرة الموجزة عن هذه الصحيفة

الا لانها كانت تصدر باللغة العربية ، اولاً ، ثم لانها كانت اول جريدة ناطقة بالعربية عرفت تاريخ الصحافة الجزائرية ، ثانياً . فذكرها هنا ، كان من اجل هاتين العلتين اثنتين . والا فسيبلغنا نحن ، غير هذا الضرب من الصحف الاستعمارية في هذا البحث الذي نقفه على الصحافة العربية الوطنية الجزائرية بما ، لملتها بالشعب ، ولتعبيرها عن اماله والابه ، ولشتباليها على شيء من الاداب ، وطرف من الاشعار ، والوان من القول الهادف .

ولقد ظلت الصحافة في الجزائر طوال القرن التاسع عشر ، وقفا على الفرنسيين وحدهم ، ليس الا ... ولكننا الفينا نهضة صحافية وطنية نشيطة تقوم في مطلع القرن العشرين . فبينما ما كان ناطقا بالعربية فقط ، ومنها ما كان ناطقا بالفرنسية فقط ، ومنها ما كان يجمع بين اللسنتين جميعا .

هذا ، واننا لا نكاد نعرف في الصحف الرائدة الا نقا قليلة من المعلومات التي لا تثير اهاينا سبيل البحث اثاره كاشفة واضحة ، واكثر اللظ ان معظم هذه الصحف الوطنية في حد ذاتها قد ضاع من معظم المكتبات .

ومن الرواد الصحافيين الذين كان لهم شأن اي شأن في تاريخ الصحافة العربية في الجزائر ، العربي نزار الذي اسس جريدة « المصباح » التي انطلقت باللسانين معا . وكانت غالية هذه الجريدة ، فيها يبدو ، محاولة التوفيق بين المجموعتين المتساكتين في الجزائر يومئذ : الجزائريين والاروبيين (٤) .

ومن اقوى الصحف الرائدة تأثيرا خلال الصدر الاول من هذا القرن ، جريدة « المغرب » الاسبوعية التي كانت تصدر باللغة العربية فقط . ولعل تأثيرها في الراي العام الجزائري ، وهو تأثير اوما اليه الدكتور سعد الله (٥) ، يعود الى عاليتين اثنتين :

— اولها : طول عمرها الذي بلغ عقدا كاملا من السنين ، فقد ظلت تصدر من سنة ثلاث وتسعمائة والف ، الى ثلاث عشرة وتسعمائة والف . وعبر الصحيفة اذا استقطال في الجزائر عشر سنوات يعتبر ، في تلك الفترة التاريخية المضطربة ، فلتة من العناية السماوية .

— وثانيها : ان اتجاه هذه الجريدة كان قويا اسلاميا (٦) .

ونلاحظ ان هذه الجريدة من اولى جرائدنا التي اصطلحت اللغة العربية وحدها لسانا لها . وفي هذا الصنيع ما فيه من الدلالة على اتجاهها الوطني القومي الصريح (٧) .

وينتساف الى هاتين الصيقتين الوطنيتين صحف



والاسلام ، والجزائر ، والحق ، والفاوق ، وذالفار ،
وكوكب افريقيا (١٠) .

وتتميز هذه الفترة بقلّة القراء ، وصعوبة الطبع ،
وسوء الاخراج ، وضعف الاسلوب ، واضطراب اللغة
أحيانا .

٢ - فترة تمتد من سنة تسع عشرة وتسعمائة
والف - وهي السنة التي صدرت فيها « الاقدام »
و « النجاح » - الى قيام الحرب العالمية الثانية سنة
تسع وثلاثين وتسعمائة والف .

وتعتبر هذه المرحلة مشرقة ، مزدهرة ، عرفت
فيها الجزائر صحافة عربية راقية كثيرة متنوعة متطورة .
ويقترب عدد الصحف التي ظهرت خلال هذه
المرحلة من ثلاثين صحيفة - تزيد قليلا او تنقص قليلا -
من أهمها : الاقدام ، والنجاح ، وصدى الصحراء ،
والجزائر ، والمنشد ، والشهاب ، ولسان الدين ،
والبلد الجزائري ، وصحف ابي اليقظان الثماني ،
وصحف جمعية العلماء الاربع ، والاخلاص ، والاصلاح ،
والبرق ، والوفاء ، والتليذ ، وابو العجائب ، والليالي ،
والمغرب العربي ، والجحيم ، والمعيان ...

وتتميز صحافة هذه المرحلة بفصاحة اللغة
ونقاوتها ، في الغالب . كما تمتاز بجسالة الاسلوب ،
وحسن الاخراج ، والحرص على التتويج والترتيب .
وفي هذه الفترة ازدهرت المقالة الصحافية ازدهارا طيبا .
كما نلاحظ ان اول جريدة يومية في تاريخ الصحافة
العربية ظهرت خلال هذه الفترة أيضا ، وهي « النجاح »
التي ابتدأت اسبوعية ، ثم نصف اسبوعية ، ثم يومية
مع مطلع العقد الرابع من هذا القرن .

٣ - فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية الى قيام
ثورة التحرير سنة اربع وخمسين وتسعمائة والف .
وهي وان تك اقص هذه المراحل الثلاث عمرا ، فانها
ارقاها صحافة ، واسماها تقيّة ، اذ تنط اوج الرقي
الصحافي في الجزائر .

وهذه المرحلة الاخيرة عرفت ، هي أيضا كالمرحلة
الثانية ، صحفا كثيرة : مختلفة النزعات ، متباعدة

اخرى صدرت في مطلع هذا القرن ، منها : « الاسلام »
للصادق ندان ، و « الجزائر » لعمر راسم (٨) ،
وجريدنا « الفارق » و « الحق » (٩) .

وهكذا عرف المصدر الاول من هذا القرن صحفا
عربية اللسان ، وطنية الاتجاه ، ناثرة اللهجة ، تتطلع
الى الحرية ، وتشرب الى حياة امثل .

٢ - المراحل التي مرت بها الصحافة الجزائرية
في طورها :

لم نكد الحرب العالمية الاولى تضع اوزارها ، حتى
قامت بهيضة صحافية في الجزائر مباركة ، فعرفت البلاد
مصدر صحيفتين عربيتين في سنة واحدة وهي :
« الاقدام » للامير خالد ، و « النجاح » لمبد الخفيظ بن
الهاشمي . ولا نكاد نتقدم في الزمن قليلا حتى تبرز الى
الوجود صحف عربية كثيرة في الجزائر ، من أهمها اطلالا
« المنشد » ، ثم الشهاب لابن باديس . . وصحف ابي
اليقظان الكثيرة التي ظلت تتساقط في عمر الزهر . من
وادي ميزاب ، وميزاب ، والمغرب ، الى الحق والفرق
والبستان .

وبينا الفينا الصحف الوطنية ذات اللهجة المريحة
والاتجاه التقدمي ، تمطل الواحدة تلو الاخرى ، لاحتنا
استمرار وجود الصحف المتحفظة اللينة اللهجة التي
كانت تتخذ من التقية اسلوبا لها . ومثل ذلك يقال في
الصحف الحكومية الهوى ، ك « النجاح » التي كانت
اطول الصحف الجزائرية عمرا اطلاقا .

ونبشي الى العقد الرابع فنتطلعنا صحف عربية
كثيرة منها صحف جمعية العلماء الاربع : الثلاث
المعطلات ، والرابعة البصائر التي عمرت من سنة
خمس وثلاثين ، الى سنة تسع وثلاثين ، من هذا القرن .
ويمكن للباحث في شأن الصحافة العربية في الجزائر
ان يصنفها اصنافا ثلاثة مستوحاة من طبيعة طورها
الذي خضع لمدا النشوء والارتقاء :

١ - فترة تمتد من مطلع القرن العشرين الى قيام
الحرب العالمية الاولى ، وامم الصحف العربية التي
ظهرت في الجزائر ، خلال هذه الفترة اطلالا : المغرب ،



نوعها

اسم الصحيفة	يومية	اسبوعية	شهرية	عدد نسخها	سنة الإحصاء	عدد القراء شهريا
الفاروق		+		١٠٠٠	١٩١٤	٤٠٠٠
ذو الفقار		+		١٠٠٠	١٩١٤	٤٠٠٠
النجاح	+			٥٠٠٠	١٩٢٠	١٥٠٠٠
البلاغ الجزائري		+		٢٥٠٠	١٩٢٠	١٠٠٠٠
المغرب		+		٢٥٠٠	١٩٢٠	١٠٠٠٠
الشهاب			+	٢٠٠٠	١٩٢٠	٨٠٠٠
الأصلاح		+		٣٠٠٠	١٩٢٠	١٢٠٠٠

الجزائري من وجهة ، وتغير الصحف أو تكثرها من وجهة أخرى . فإما بأسرها تلك صحيفة واحدة ، لا يمكن أن تقرأ ما يعقده أمة أخرى ، لها صحف كثيرة ، حتى لو افترضنا جدلا ، بأنها في مستوى واحد من العلم والثقافة ، وفي مقدار متساو من العدد .

١ - أن القراء بالعربية في الجزائر كانوا يميلون إلى الصحافة اليومية ، ثم الأسبوعية ، ثم الشهرية . فكنا نجد عدد القراء يتفاعل كلما تباعد ميقات صدور الجريدة أو الدورية ، فـ « النجاح » كانت تطبع يوميا خمسة آلاف نسخة ، بينما نجد « الشهاب » ، لا يطبع منها إلا ألفان .

وهذا يعود ، في تقديرنا ، إلى شيء آخر يتمثل في كون القراء تختلف مستوياتهم الثقافية والفكرية ، باختلاف أحوال الصحف وأنواعها . فالمجلات يقبل عليها أرقى ما في الأمة من مثقفين ومتعلمين . والجرائد الأسبوعية يقبل عليها انتماء الهيئة السياسية أو الدينية أو الصوفية التي تقوم على نشرها ، في الغالب . فسي حين أن الجريدة اليومية يقرأها الناس ، لأنها كانت توجز لهم ما يدور في العالم ، فكانت ذات طبيعة اخبارية أو اعلامية ، أكثر منها ثقافية أو أدبية .

٢ - أثر الصحافة العربية الجزائرية في تنشيط الأقاليم : حين عرفت الجزائر الصحافة العربية على يد الفرنسيين ، لم يك تلك الصحافة ، كما أسلفنا ، من العربية إلا اسمها . أما الألفاظ وفصاحتها ، والتعبير

ومع ذلك ، فإن هذه الإحصائية تفيدنا بأن عدد القراء ارتفع من ثمانية آلاف قاري في الشهر ، تقريبا ، بالنسبة لسنة أربع عشرة وتسعمائة ، إلى أربعة وثلاثين ألفا ، ومائة ألف في الشهر . وبذلك يكون عدد القراء تضاعف أكثر من عشرين مرة ، في خمس عشرة سنة .

والذي يتأمل هذه الإحصائية ، يستخلص منها نتائج علمية ، لعل من أهمها :

١ - أن عدد القراء يجب أن يكون قد تضاعف بعد ستة ثلاثين وتسعمائة ألف ، بنسبة أكبر : لظهور صحافة جديدة قائمة على إيديولوجية جديدة ، ولا سيما صحف العلماء التي كانت تحارب الاستعمار ، في الوقت الذي كانت تحارب فيه الطريقة الضالة ، والتدجيل الباطل .

٢ - أن الصحف العربية كانت تظهر ثم تختفي . وهذا الديلان كان يجعل القراء الجزائريين يضيعون ويتيهون بحثا عن صحف عربية أخرى جديدة ، ليقرأوها . بيد أن هذا التيه كان يزيله صدور صحف جزائرية أخرى جديدة ، تحل من الأفكار ما كانت تحملها سابقتها المعلقة .

٣ - أن نسبة القراء كانت ترتفع بتقدم السنين ، لازدياد عدد المتعلمين بالعربية الذين كانوا يتلقون دراستهم في مدارس العلماء وغير العلماء من الهيئات المولنية الأخرى التي كانت تمنى بتعليم العربية للنشء

ودقتها ، والمعاني وعمقها ، والأساليب وفحولتها ، فلم يكن لها منها شيء قليل أو كثير .

أما حين جاء الجزائريون إلى هذه الصحافة العربية ليعنوا بأمرها ، فانهم حاولوا تزيينها شكلا ومضمونا ، وأسلوبا ومحتوى . والحق أننا لا نكاد نعرف ، في الوقت الراهن ، عن أسلوب صحافة المرحلة الأولى ، في الجزائر ، شيئا قديما بأن ينير لنا سبيل البحث . بيد أننا نفترض أن أسلوب الصحافة الجزائرية خلال المرحلة الأولى من نشأتها ، كان مهلهلا إلى حد بعيد .

وليس معنى ذلك أن صحافتنا كانت تكتب بالعامية ، بل أن الكتاب الجزائريين ظلوا محافظين حتى في أصلك الظروف وأصعب الأزمنة ، على اصطناع عربية نصيحة اللغة ، وإنما معناه أن هذه الفترة لم يتج لها أن تعرف كتابا أدباء من الطراز العالمي ، فكان من نتيجة ذلك أن الصحافة : صحافة هذه الفترة التاريخية المبكرة ، لم تلتزم أسلوبا أدبيا جيلا ، وإنما كانت غايتها الإيهام والتبني .

ولكننا لا نكاد نثب إلى المرحلة التاريخية الثانية من عمر الصحافة العربية في الجزائر ، حتى يتغير الأمر راسا على عقب ، وظهرا على بطن . فيبتدئ كتاب جزائريون كبار ، لهم أساليب فنية خاصة بهم ، تطبع كتاباتهم الصحافية وغير الصحافية بطابع شخصي محض ، فنظهر جريدة « النجاح » التي أسهت أسهاما كبيرا في تطوير اللغة العربية الفصحى في الجزائر . وتطويعها للتعبير عن أغراض الكتاب ومقاصدهم . فتصبح أداة لينة غضة يتصرفون فيها بأقلابهم كيف يشاؤون . ولا ينقص من هذه الجريدة ، في هذه المسألة بالذات ، أنها كانت حكومية الهوى في اتجاهها السياسي في أواخر حياتها .

ثم تظهر من بعد ذلك صحف عربية أخرى كثيرة ، قد تربو على الثلاثين : فتنفق سوق الأدب ، وتخفق رايته ، ويتألق نجمة الذي كان آملا .

لقد كانت الحياة السياسية سيئة جدا . أما الحياة الاجتماعية فلم تكن أقل منها سوءا ، بل كانت أكثر اضطرابا ، على حين أن الحياة الثقافية كانت من السوء والشتاء والاضطهاد بما جعلها تنهيه فيلنوتى بها الطريق . غير أن هذا السوء لم يحظر المثقفين الجزائريين ، وكتابهم

بوجه خاص ، من أن ينبروا إلى مجال الأدب فيحاولوا أن يبدعوا ، ويصبروا بالكلمة الفاضلة ، فأخذوا يبحثون عن الوسيلة المثلى التي تتيح لهم أن يسبعوا أصواتهم للشعب ، فأذا هذه الوسيلة تتمثل في الصحافة . فأنشأ الكتاب الجزائريون ينشرون مقالاتهم وكتاباتهم على اختلافها في الصحف السيارة التي تكاثرت ، في المرحلة التاريخية الثانية ، تكاثرا شديدا .

وكان هذا الكثرة متمثلا في ظهور العناوين الجديدة بصورة مستمرة . وكانت هذه العناوين الجديدة في حد ذاتها ، خاضعة لملة كانت محتومة ، وهي قرارات التعطيل التي كانت تنصب على الصحف العربية الجزائرية انصبابا فيه أسواط العذاب ، وعمى النكال والاضطهاد . ينشأ في ذلك ضعف الاعتمادات المالية ، وصعوبة الطبع ، وقلّة القراء ، لانتشار الأمية الفاحشة في تلك الفترة الزمنية المضطربة من تاريخ الجزائر ، نتيجة حتية لوجود الاستعمار بها .

ونحن نميل إلى أن ظهور الصحافة العربية الجزائرية ، وانتشارها نسبيا ، ثم ازدهارها نسبيا أيضا ، كان من العوامل التي مكنت للنثر العربي الحديث في الجزائر أن ينشأ ، ثم يكبو ، ثم يتطور ، تطورا لا يخلو من بطء وريث ، ولكنه ظل مستمرا مصرا مطردا ، يسمى على رجليه نحو الرقي .

وكان الكتاب الجزائريون يفتعون إلى هذه الصحف ليعبروا فيها عن آرائهم السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية ، محاولين تصوير المشاكل التي كان مجتمعهم يعانيها . فهم قد أخذوا منبرهم السذي يخالطون منه الشعب ، فيهدونه سواء السبيل خشية أن يضل ، ويوقطونه مخافة أن ينأم ، وينهبونه حتى لا يقع في الانخاف السياسية التي كان الاستعمار الفرنسي لا يتورع في نصبها لدى كل طريق ، واقتابنها عند كل مجاز .

أكان النثر العربي الحديث في الجزائر ينشأ ، ثم يتطور على هذا النحو الذي وجناه عليه فيما بعد الحرب العالمية الأولى ، لو لم تنهيا له هذه الصحافة العربية التي مهبا كانت مختلفة في مشاربها ، متباينة في مراميها البعيدة ، فانها كانت جميعا تنشد نشر الثقافة العربية ولغتها ، وتتوخى تطوير النثر العربي في الجزائر ، من حيث كانت تشعر ، أو من حيث لم تكن تشعر ؟ فإذا

الإبراهيمي ، والطوب العقبي ، ومحمد السعيد الزاهري ، وأحمد رضا جوجو ، وعبد الحفيظ بن الهاشمي ، وإبراهيم أبو القبطان ، وأحمد بن ذياب ، وعلي مرحوم ، ومحمد العاصمي وسواهم ممن لا نستطيع ذكرهم جميعا .

فما من هؤلاء الا من ملأ الصحف الجزائرية من نتاجه الفكري ، وبيانه العربي . وما من هؤلاء الا من كانت الصحافة العربية في الجزائر سببا في إبراز شخصيته ، وسقل دهبته ، وفتحت عبقريته الإبداعية .

أفلا يحق لنا أن نرغم بعد كل هذا ، أن الصحافة العربية في الجزائر ، كانت عاملا أساسيا من العوامل التي مكنت للثغر العربي الحديث أن يولد في الجزائر ، ثم ينمو ، ويتطور إلى أن بلغ درجة الكمال في منتصف هذا القرن ، على يد محمد البشير الإبراهيمي ، ونفس من معه ، في مقالات صحافية منتحة : عالية اللغة ، راقية الأسلوب ! .

د. عبد المالك مرتاض

- ١ - الموسوعة العربية : (ص ١٦٥) - القاهرة : ١٩٦٥ .
- ٢ - تاريخ الصحافة في الجزائر للزعيم سيف الإسلام : ١١٢-١١٣ ، والحركة الوطنية الجزائرية للدكتور أبي القاسم سعدالة : ١٥٦ .
- ٣ - الدكتور غمار طلي : انار ابن باديس : ٥٥١ .
- ٤ - الدكتور أبو القاسم سعدالة : الحركة الوطنية الجزائرية : ١٥٦ .
- ٥ - الدكتور أبو القاسم سعدالة : الحركة الوطنية الجزائرية : ١٥٧ .
- ٦ - المصدر السابق .
- ٧ - المصدر السابق .
- ٨ - توفيق المدني : كتاب الجزائر : ٢٤٤ ، والحركة الوطنية الجزائرية للدكتور سعد الله : ١٥٧ ، وانار ابن باديس : ٥٥١ .
- ٩ - د. سعدالة : الحركة الوطنية الجزائرية : ١٥٦-١٥٧ .
- ١٠ - انظر الحركة الوطنية الجزائرية : ١٥٧-١٥٦ ، وكتاب الجزائر : ٢٤٨ ، ٢٤٤ ، وانار ابن باديس : ٢٢١-٢٢٠ ، ونهضة الجزائر الحديثة ونورنها المباركة : ١٢٤-١٢٣ .
- ١١ - أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر : ٢٤٨ ط ٢ .
- ١٢ - راجع البصائر الثانية : ج ٨٦ .
- ١٣ - الصحافة العربية : ٣٦٦ .
- ١٤ - كتاب بحثنا سينتر في مجلة (الاقلام) العراقية ، بينا فيه الاخطاء التي وقع فيها الكتاب العرب الذين تناولوا حديث الصحافة الجزائرية .
- ١٥ - عالجا ذلك في بحث غير هذا .
- ١٦ - انار ابن باديس : ٢٢١-٢٢٠ ، وكتاب الجزائر : ٢٤٤ .
- ١٧ - كتاب الجزائر : ٢٤٤ ، والحركة الوطنية الجزائرية : ١٥٧ ، وانار ابن باديس : ٥٥١ .
- ١٨ - الثقافة (الجزائر) : ج ٨٢ ص ٨٥ .

هذه الفترة المبكرة من تاريخنا الوطني ، تصرفت كتابا ممتازين ، وكتابا متوسطين ، وكتابا من الدرجة الأخيرة ، ولكثهم جميعا شاركوا في تطوير أسلوب الصحافة وتهيئة الجو المناسب له ليصبح معبرا صافيا نقيًا ، منذ بدايته العقد الثالث من هذا القرن . وما جاء العقد الرابع حتى كان أسلوب الصحافة العربية في الجزائر اسلوبا راقيا الى حد كبير . وربما لم يكن أقل رقا وسوا من الاساليب العربية التي كانت متداولة قائمة في المشرق العربي . ومن دلائلنا على ذلك ان محمد السعيد الزاهري كان يكتب باستمرار في الدوريات المشرقية ، كالفتح ، والمطمع ، والرسالة للزيات . كما اننا نجد الإبراهيمي يفخر بكون اسلوب « البصائر » كان مثار اعجاب شديد لدى المشاركة (١٢) . وليس هذا موطن دراسة هذه القضية وسوق البرهانات الدامغة لها لكي تثبت وتقوم .

ولا التفتا لما زعم اديب مروة من أن أسلوب الصحافة الجزائرية كان ركيكا ، حين قال :

« والجدير بالذكر ، ان صحافة الجزائر العربية ظلت صحافة ركيكة اللغة ، ضعيفة المبنى والشكل » (١٣) . فهذا الراي لا يقوم على أساس من الحق ، ولا على منطلق من العلم . ورجل يخطيء في عناوينها ، وتواريخ مصورها ، وتواريخ تعميلها ، ومن حيث نسبتها الى اصحابها الذين انشأوها وحرروها ، لجدير براه حول اسلوبها ان يكون ساقطا لا يعتير ، وملقى لا يذكر (١٤) .

وتبدو غيولة هذا الراي حين نسوق عليه أدلة من نصوص هذه الصحف التي زعم اديبنا المروءة اسلوبها كان ركيكا ضعيف المبنى (١٥) .

ولنؤب الى ما كتأ فيه من حديث .

ومن الكتاب الذين طوروا الصحافة العربية في الجزائر ، فأسهموا بذلك في تطوير النثر العربي ، لدينا ، الشيخ محمود كحول الذي برزت موهبته الصحافية في جريدة « كوكب افريقيا » (١٦) . ومن برزت مواهبهم الصحافية ، في هذه الفترة الأولى : الشيخ عبد الحصيد بن سيابة ، وعمر راسم الذي كان يشرف على جريدة « الجزائر » التي كانت أول جريدة عربية في الجزائر لا تصدر عن هيئة استعمارية (١٧) . ومن الكتاب الصحفيين اللاحقين عمر بن قدور صاحب « الفاروق » ، والذي راسل خميس عشرة دورية في المغرب والمشرق (١٨) .

ومن كانت لهم اليد الطولى على الصحافة العربية وتطورها شكلا ومضمونا ، خلال النصف الأول من هذا القرن في الجزائر : أحمد توفيق المدني ، ومحمد مبارك المالي ، وعبد الحميد بن باديس ، ومحمد البشير

رسالة عتاب إلى بلادي

يا بلادي طعم الحرائق في جف
مني يأس وفرحة وعتاب
يا بلادي ضفائر القيد ليل
بربري تندس فيه الذئاب
والسياسات موكب أوكمي
لا عيون له ولا أهداب
يذبح الفجر في خناياه والتأ
ريخ أشلاء مزقتها الكلاب
* * *

يا مراسي العشاق شابت مآسي
نا وما شابت الخيول العرب
زورق الوجد في العيون امتداد
يتطوى وفي الليالي شهاب
يزهر الحزن في مآقيه عطرا
والدنيا تمزق ولهاب ...
* * *

هم مسهرنا وفي الجوانح ليل
ذابل الورد فالأين خضاب
نمضج الجمر والرؤى لهثات
والتباثير زئبق منساب
فقراء ... تلوننا الوحشة البلاء
هواء والصمت واللظى والمذاب
فقراء تنهار في عمق الأحلام
ألم حسرى وتسحق الإراب
فقراء نحن القوافل في التنا
ريخ تسعى وإن تصدى السراب
الزنود العطاش زحف على كفيه
تنمو الشمس والإعشاب
وتبوت الملايح الصفر اذلا
لا ويحيا كما يشاء « الكتاب »

عياش يحيى عياوي
مدينة بركة
ولاية الأوراس

انا والورد والدروب كتاب
ننميه الأسفار والاعتاب
سحقنا الأشواك في عتية الليل
هشيماء ، وداسنا الارهاب
نتفنى وتلك بعض خطايا
نا ونصبو وكلنا اسلاب
نحسب الدرب عسجدا وحيرا
وهوان حسابنا وخراب
الجناحان للمواصف زاد
والتباريح ما لها اعصاب
كل شبر من العروبة جرح
شامخ الرفض ما عليه نقاب
الليالي الحمراء تنكر دعوا
ه وتضجو من خلفها احزاب
يا دروب الهوان هل سكر اللب
سل لتصو بدربنا الانصاف
مزقتنا الرياح شرقا وغربا
وارتوت من دموعنا الاعتاب !!

حسرات الاسلام دفع مآسي
نا وشكوى الخيول.. يا احباب
موجة الرفض في مدانا تقاسي
سم فتنت بكبرها الاحقاب
موجة الرفض شعله فجرتها
صولة النار والعيون الفضاب
يا سموخ النخيل في سكرة الماسا
ة خمر صمودنا وشباب
صهوة الشمس للفوارس عز
ازلي وللخنافس صاب
كيف للخرى تركع الهمة الخض
اء والجرح للرؤى محراب
ما خنعنا في ساحة العز يوما
زادنا الكبر والتحدي العجاب
* * *



أمام شباك بيع التذاكر ومد
يده الى البائع القابع هناك بالدرهم
قائلا :

- أريد تذكرة من فضلك .
- الى أين ؟
- الى بلدية المنصر .

أخذ التذكرة وانطلق الى الحافلة
الواقفة في انتظار الركاب ، أخذ
مكائه ، اعتدل في جلسته ، وراح
ينظر حوله ، ومن حين الى آخر
تعلو شغفيه ابتسامة لا ارادية ،
تنحج ثم مال على الجالس بجانبه ،
أراد أن يقول له شيئا ، ولكنه أحجم
وعاد الى جلسته الاولى وكان شيئا
لم يكن ، دوى محرك الحافلة وعوت
مؤذنة عن انطلاقها ، أغلق الباب ،
واهتزت الحافلة بمتحركة نحو هدفها ،
وسرة بعد مرة تميل ، ويميل معها
الركاب ، ويحسون أنهم غير مرتاحين ،
تري ماذا اصاب المسائق ؟ لا شيء ،
انه يتفادى الاصطدام بالمسيارات
الصغيرة التي تهرق من حين الى آخر
امامه بسرعة جنوبية ، تصفر الحافلة
وتعوي كالذئب . الحافلة زنزانة
والركاب مساجين ، ويحلون بالخروج



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

بدون ترتيب



قصة بقلم
جروعة
علاوة
وهبي

يوم يا من السجن ، كل واحد منهم يحمل بيده ورقة عليها رقم ، الحافلة تهتز ، هل بابكان الانسان ان يقذف بنفسه من نافذة الحافلة ويضغ حدا لحياته ؟ ما المانع من ذلك ؟ الظاهر انها فكرة مستحيلة للغاية ، وسهلة ، لا تتطلب اكثر من فتح النافذة — وهوب — ! امام فكرة مثل هذه وقف علوية متبالا لا يمكن ان يبتسى الانسان حيا دون شهادات . شهادة الميلاد شيء ضروري في عصرنا هذا ؟ ما هي شهادة الميلاد في نظرك ؟ — انني موجود .

— وماذا تفعل بوجودك ؟
— حتى اجد قبرا عندما اموت .
— انت خيالي انك تعيش ...
— اليوم .
وتهتز الحافلة من جديد وتصفير ويعلو صوت طفل مسفر باكيا . تحاول ابيه تهدئته ولكنه يصصر على موصلة سفنونيته البكائية ، وتسامل علوية :

— متى احصل على شهادة ميلادي ؟
— متى وصلت الى بلدية المعصر .
الحافلة تعوي مثل ذئب جريح او كلب مسعور ، ومن بعيد تراءى منظر بناية قديمة مخربة . لا شك انها من مخلفات الحرب .

آه الحرب .
تزيد سرعة الحافلة ويشعر الركاب بظولهم تزيد سرعة دقاتها وكأنها تريد ان تسبق الحافلة ، لا ، انه الخوف من الموت ، طبعاً من يريد الموت في السجن ؟ ، النوافذ مغلقة ، وارتفاع كمية اكسيد الكربون الناتجة عن الهواء المحروق الذي زفره الركاب يثير الغثيان عند علوية ، الحافلة لا تدري شيئاً عن هذا لعنبا الله ، القطار افضل منها ، هناك يستطيع الانسان على الاقل التنشي في الممرات، لكن البلاغات الصادرة في الجرائد تبثع على التقرز . فكر علوية في نفسه .

— لا اريد موتا هادئا .

— ما هو الموت الهادي ؟

— موت يجيء عن طريق
الاشعور .
— شهادة الميلاد هي الموت .
— والموت مشكلة .

علوية يذكر

كان ذلك في سنة لست ادري كيف تسمى تلك السنة ، وكل ما اعرفه هي انها السنة الثانية في تاريخ الثورة التحريرية ، نعم كان ذلك عندما شاهدت الحافلة تقف ، وربما كانت هي نفس الحافلة التي اركبها انسا اليوم ، وينزل منها رجل خيل لي انه ابي فربكت الحبار وانطلقت للقائه ولكن ، آه عذبوني ... الكلاب ، تصوروا لم يكن سني قد تجاوز العاشرة ، لا ، الحادية عشرة ، لست ادري بالضبط كم كان ، ولكنهم عذبوني ، وعندما كانوا يعذبونني قنيت ان يقتلونني نهائيا او يحسوا اسبي من قائمة الوجود ، احسبت بالالم الحاد رغم اني فقتت الوفي ، لو انهم قتلوني لما شعرت بالالام

الطيات . كانوا يعذبونني ... الكلاب ، بناء الكلاب من جبهتين ، من جهة كوني جزائري ومن جهة كوني ابي الدوار المحروق .
ولما لم يتكفوا من اخذ المعلومات بني هددوني بالقتل وغرس احدهم خنجره في رجلي اليسرى ، نعم وعلمة الجرح ما تزال شاهدة على ذلك . اينسا ، الزنا ، كانوا من فرقة المرتزقة لا يعرفون الرحمة ، ويقال ان هذه الكلمة لا وجود لها في قاموس هؤلاء « الاصفاة » ، ولما لم ابع لهم بمسا طلبوه مني ضاعفوا من قسوتهم ، وكنت افكر بان قسوتهم معي انسا وانتقام ، ضربوني حتى سالت الدماء من انفي وزادوا من قسوتهم فضربوني بالعصا على راسي الذي انتفخ ، واصبح كالبطيخة ، وغارت عينايا في راسي وتورمت وجنتاي وما زالت الدماء تسيل والخنجر مغروسا في قدي لم اتمكن من القيام وما عدت احبب الجلوس ، تناول الكلاب علي باللكم والصنع والضرب بالعصا حتى

انكسرت على راسي ، لم اعد اشعر بما يفعلون ، وسألني احدهم عن عضوي التناسلي وهل املك واحدا ، ولما اجبت بنعم ، اضاف ، اريد قطعه ، قاومته بكل ما املك من قوة ، وغارت الدنيا امام نظري واختلط الامر ، واصابني ضربة الخنجر في فخذي بدلا من الهدف الذي قصده ، بعد ذلك القوا بي في النهر فجاهدت بالبقية الباقية من قوتي حتى وصلت الى الضفة حيث كان الحصار مربوطا وكانت ادرك ما بي فانحنى حتى اتمكن من ركوبه ثم انطلق بي الى اهلي ، وصلت الى الدوار وضحك علي الاطفال لان راسي كان منتفخا ، وعرفت امي الي واطلقت صرخة حادة فذكرني بغازير يوم الميلاد ، وجاء الرجال من كل حذب ، واصبحت من جديد في محل استجواب مع فارق واحد هو عدم الشرب هذه المرة ، ورحت اتسأل في نفسي هل خسر هؤلاء القوم الى الاحتفال بعمرسي ام لنعزبة الاهل في موتي .

سفرت الحافلة ، ووقفت برهة في محطة وسط الغابة ، نزل ركاب وسعد اخرون ، كنت ارى كل هذا يحدث امامي ، صعود وهبوط رجال ونساء واطفال وشيوخ ، ثياب ممزقة تنبعث منها رائحة الطين ، لم اعلق على ذلك ، ومع كل هذا مدت من سفري دون شهادة الميلاد لانني لم اعرف يوم مولدي والشهر والسنة ، وعندما رجعت الى المدينة دخلت غرقتي القصديرية ونبت نوما طويلا وحلقت احلاما مزعجة ، تركت الباب مفتوحا ، وفي الصباح وجدت بجائبي غارة بيضاء اللون ، جنة باردة لم اتمكن من تفسير ما وقع ولا شعرت من اين جاءت الغارة ؟ وكيف ماتت ، فعدت للثوم من جديد وتركت التفسير لغيري من بني ادم وللقضاء والقدّر .

جروعة علاوة

— قسنطينة —

تقرت

شعر:

محمد الأخضر عبد القادر السائحي

(٥)

تقرت لم ترحم الأيام مطلبي

تقرت

قلبي على الاشواق يعنصر

مذ صارت الارض

امي في الهوى

طلبي

يا واجتي

ما غروب الشمس في الفلك

بياعت - كالاسى - ليلا من الحلك

وانما الليل يا امي

يد العفن

(٦)

تقرت رغم الاسى

والبعد يا وطني

لم تكتحل عين قلبي

بالاسى العفن

بل عاشت الشوق

في الاحزان

في الفرح

فهل انا

عاشق يرنو الى امل

ويعصر الشوق خيرا

من ربي الشجن ؟

يا رغة البدر

في الكتبان تفتسل

لقد راك شباب

هزه الامل

تذكر الصبح

وجها مشرقا

وبكى

(٧)

يا زهرة برعمت

من صفري

يراود الحب قلبي

في ثرى بلدي

كنخلة ترفض الاغراب عن شمم

وتسقط الرطب

للأحياب عن كرم

فهل أموت جوى

يا واجتي ؟

وانما

لا غيظتي

تبعث الامل في اقصي

او قريتي تسكت الاهواء

في خلدي

(٤)

تقرت يا واجتي

لم ينطفيء شغفي

بل زاد في البعد

كم زاد الهوى لهبا

وكم سقاني الهوى

من كاسك القبر

دنى نهاوى على كاس الشقا

قمري

فتناه في غيمة الاحزان

مكتنبا

كنخلة في البراري

تشرب الكتبا

(١)

تقرت يا واجتي في لوحة الزمن

تفتت القلب - ظلماتنا - على المحن

الى سواقي الصبا

والنخلة والوطن

(٢)

تقرت تبكي جراحي من لظى شغفي

وكم تسيل جراحي

من ضنى المني

منذ الصبا

والهوى ينمو على لهف

اليك يا واجتي

هلا ارى حلمي

يفازل الجنة الخضراء

في وطني

(٣)

تقرت اين (اين جلاب)

واين انما

وانت يا بهجتي

اسطورة الزمن

ولدت يا واجتي

والليل معنكر

فلم يكن للصبا حب ولا سمر

ولم تعش بسمتي

الا على شفتي

وفي سنا وجهك المحجب

في شمس ضيقتنا
لم يبعث الليل
نوم الشمس في الفسق
فكيف غنى اريج النخل
من حرقى ؟
الليل يا امل
شوق النخيل الى الامواه
في نفخة الرضاء بالرهج
جف الثرى
يا حبيب القلب
من عطش
فلم يجد
برغم « الجمار » ساقية
ولم يجد قطرة
الا دم المهج
فعب من سائل الذكرى
عصير دمي
حتى استحال الدم المحلوب
عبر يدي
تيرا يشير الى الالام
يا ولدي !
حييتي
من دمي
تجري دموع فمي
ومن عصير الشقا
ينمو هوى بلدي
رضعت قلبي
طعاما ساخن اللبن
رضعته واحتني
كي افندي وطني
كي افنديك
ديارا غازلت صفري
كي يعشق النشاء
في مفني الصبا لغتي
كي يزهر الحب في ارضي

بلا خجل
ويطف الجبل ازهارا
تضوع مني
وتحتني غابة النخل البديع بنا
وتلعب الفاصين الهجن
يا امل
فلا يفي الى الاوكار
من هجنا

(٨)

تقرت يا قمة الامل في سفري
تاكل الشبل في دوامة الخطر
وفي حشاشته
ذكرى من الصفر
تشده للحمى
صوتا من القدر
تصارع النخلة الاحداث
يا عظمت
فهل رات في الصراع المر
مصرعا ؟
نظل يا كبدى

في الافق باسقة
رغم الرمال
ورغم العاصف البطر
حتى اذا لم تجد
ماء بتربتها
يحي عروق الثرى
من وطاة الشرر
ذاب الرحيق
نضالا عن اصلتها
اتحلب الشمس آمالا
مجددة

وترضع الماء من « بزولة » القمر
لتقهر الرمل ؟
ام تبكي من الضجر ؟

(٩)
تقرت يا واحتني في دورة الفلك
اتيت من حالك الاحزان
اسمعك
انشوة الحب
من شبابة القمر
واكتب الشعر
للانسان في بلدي
فالليل لم ينقشع
الا على ارقى

(١٠)

تقرت لم يخلف وجهي
ولا هدبي
منذ الصبا
والتصال المر
ارضعه من ثديك الحلو
يا امي بلا صجر
يا واحتني
ذهب الاغراب عن وطني
وعادت الارض للفلح
للمرق
فاين يا (بهجتي)
نبيع بضيعتنا
يسقي العطاش الى التحرير
من زمن
لاطلق الشعر
الحانا مجنحة
واملا الكون
تمجيذا لمن غرسوا
جزائر العز
لم تخلق من العدم .

محمد الاخضر عبد القادر السائحي
عضو مؤسس
باتحاد الكتاب الجزائريين

محمد المودي

بمناسبة ذكراه العشرين

بمقام : محمد الصالح رمضان

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

إنه الكثير عن طريق اقاربي ومعارفي ، فقد كان بعضهم يحتاحه في الوكالة ، وبعضهم في الاستشارة او الوساطة ، او غير ذلك من شؤونهم الخاصة ، لانه شخصية قانونية مرموقة في تلك النواحي ، وقد يكون في جانبهم او في جانب خصومهم ، فاسمع منهم مدحا له تارة ، وتقحا له تارة اخرى ، حسب منافعهم ومضارهم في امورهم الخاصة ، وتلك طبيعة معروفة في البشر من تقديم الزين ، فالصلحة الخاصة والمنفعة الخاصة هي الميزان الذي يزنون به الامور ويصدرون الاحكام بحسبه ، وهكذا كان يسمع به او يعرفه كثير من اترابي ، ومن هم اكبر منا سنا .

فكنا نتصور المودي شخصية قانونية كبيرة ، تستطيع ان تلنع او تضر ، والى هذا الجانب القانوني كان ادبيا ليعا ، راجت اشعاره واخباره ، وذاعت كتاباته وخطبه ومواقفه في الامور الادبية وفي القضايا

تعرفت الى الاديب الشهيد محمد الابين العمودي في ثلاث مراحل من حياتي وفي اماكن مختلفة من وطني : في مسقط راسي ، وفي قسنطينة : واخيرا في العاصمة .

الرحلة الاولى :

كنت اسمع بالامين العمودي في اواخر العشرينات وبداية الثلاثينات وانا طفل صغير اتردد على الكتابيب القرآنية ، والدرسة الابتدائية الفرنسية (بالقطرة) مسقط راسي ومدرج طفولتي ، والامين العمودي وقتها وكيل شرعي في (بسكرة) ، يرافع في القضايا المدنية بالحاكم الشرعية لمدينتي بانه (عاصمة الاوراس) ، وبسكرة (عاصمة الزيبان) ، وقرينتي (القطرة) تقع في منتصف الطريق بينهما وكثيرا ما ينزل بها ضيفا على اصدقائه ، او يتوقف فيها وهو ذاهب او آيب بين المدينتين المذكورتين ، غير اني لم اره ولكن كنت اسمع

اختلفت آراء الفريقتين في مستقبل (الابن الشرقي) الذي
تعاورت عليه تربيتان مختلفتان ، تربية ابيه الوطنى
الصميم وتربية امه الفرنسية القحة .

فصور العمودي ذلك الجو ، وهذا الابن المتنازع
عليه في ثلاثة ابيات فقط لطيفة ظريفة قال :

**حي الطبيب ولا تنسى قرينته
فهو (سليمان) والدام (بلقيس)**

**له غلام اطلال الله مدته
تنازع المرب فيه والفرنسيس**

**لا تعذلوه اذا ما خان ملته
فنفسه (صالح) والنصف (مورييس)**

واطلق هذا الشطر الاخير مثلا بارعا جرى مجرى
الامثال في مثل هذه الاحوال ، وما زلت احفظ للعمودي
الكثير من شعره من ذلك مثلا ، في الفخر والحفاصة
يقول مفتخرا بنفسه :

**فضلتني يا رب اذ علمتني
وكسوتني حلا بها ازدان**

**فاذا كتبت يقال اطمرت السما
او فئت قيل تفجر البركان**

**واذا نظمت اتيت قرائي بما
لم ياتهم قبلي به حسان**

**ورماني القراء ضاع اريجها
لي دجة وقصائدي برهان**

ويقول :

**امشي على مهل وثقري باسم
زار الفضنفر او عوى السرحان**

**بالصبر ادفع جفيل الحدان عن
نفسي وليس يروعني الحدان**

ويجمع بين الشكوى والشهابة فيقول مثلا :

**اني وان حظ سوء الحظ منزلتي
وقد علا شرني بالظلم اقوام**

**في خلقي رجل شهيم وفي ادبي
فحل لاثمن در الشعر نظام**

ويقول مهددا متوعدا :

**قل للشائاتين عرضي اني
هبرزي مهنند الانبياء**

**وقصاري قولتي ان لم يصني
لا يضر السباع نبسح الكلاب**

السياسية والاجتماعية . فقد كانت (بسكرة) وقتها
مصدر اشاع ثقافي ، ومهد نهضة ادبية ، تنافس
بنشاطها مدينتي : قسنطينة والجزائر تصدر منها ثلاث
صحف اسبوعية بالعربية في ذلك الوقت المبكر ، هي
(صدق الصحراء) لاحد بن العباد المعتي ،
(الاصلاح) في عهدها الاول للشيخ الطيب المعتي ،
و (الحق) لملي بن موسى ، وصحيفة انتقادية موسمية
بالفرنسية للسيد سفير تدعى (Le coup du bambou)
في وقت كانت الصحف الوطنية قليلة ونادرة ، ولا توجد
الا في (الجزائر وقسنطينة) .

وكانت (بسكرة) تضم نخبة سالحة من الادباء
والمخففين ، ومن الفقهاء والمتعلمين من ابنائها وابناء
الزاب ، ووادي سوف ، ووادي رينج ، او وادي ميزاب ،
المقيمين بها ، او الذين يترددون عليها ، على راسهم :
الشيخ الطيب المعتي ، والامين العمودي ، والحكيم
سعدان ، الذين كانوا واسطة ذلك العقد الثمين المخلق
في جيد عروس الزيبان (بسكرة النخل) من الشبان
والكهول ، مثل : محمد العيد آل خليفة ، ومحمد السعيد
الزاهري ، ومحمد الهادي السنوسي ، والجند أحمد
مكي ، واحمد بن العابد المعتي ، ومحمد خير الدين ،
وحزمة بكوشة ، وعلي بن عبارة ، وعمر بن البسكري ،
والبودالي سفير ، ومحمد عبالسة ، والعزوزي حوخو ،
واحمد بن الدراجي ، والشيخ علي المزابي ، ومحمد
الطرابلسي ، وعمر المنق ، ويلقاسم التيسيري .

تزمع الشيخ الطيب المعتي الدعوة للاسلامية
والامين العمودي الحركة الادبية ، والدكتور سعدان
الامور السياسية والتف حول كل واحد منهم جماعة
كبيرة من الانصار والمؤيدين ومن الانباع والمريدين ، قد
يختلفون في الجزئيات والخصوصيات ، ولكنهم يجتمعون
في الامور الهامة والعامة ، لذلك كله قلت ان بسكرة كانت
تنافس قسنطينة والجزائر .

وينتدمني في السن شيئا فشيئا ، كنت ازداد معرفة
بالسيد الامين العمودي بالخصوص دون غيره ، من غير
ان القاه او اراد ، وكنت احفظ من شعره ما يعجبني ،
وكله معجب مطرب وخاصة الطرائف واللطائف ، وشعر
الفخر والحفاصة ، وشكوى الزمان والحدان ، من ذلك
مثلا قوله في ابن لمسيده الدكتور سعدان من زوجته
الفرنسية ، يسميه ابوه (محمد الصالح) . وتدعوه امه
(مورييس) .

كانت تبدو على الطفل مخايل الذكاء والعبقرية ،
فيقول الجزائريون ، لا يكون هذا الولد الا مثل ابيه
وطنيا جزائريا ، ويقول الاوروبيون انه ابن غلاتنة ،
وبحكم القانون الفرنسي لا يكون الا فرنسيا ، وهكذا

ومن مبالغته في وصف يؤسه وشقائه قوله :

**نفس تريد العلا والدهر يعكسها
بالقهـر والظلم أن الدهر ظلام**

**أن حل عام جديد قيت أسأله
قل لي بماذا أتيت أيها العام ؟**

إلى أن يختبأ بهذا الوصف الرائع البليغ :

**لو اتخذت خليج البحر محبرة
وصيغ لي من يراع العلم أقلام**

**وكان لي الجو قرطاسا أمهده
ضائق على ذكر ما قاسيت أعوام**

ومصدق من قال : اصدق الشعر كذبه ، أو ابلغه .
ومن أبلة وصف فقره وسوء حاله قوله :

**حالي استحلال وفاقتي الأقران
منذ غاب عني الأصفر الزمان**

**أخفى بنو غبراء نور حقيقي
وأدبتي نقضوا المهود وخانوا**

**جار الزمان علي في شرخ الشباب
وفاتني ما يفعل الشباب**

ويستمر بعد نفس طويل قائلا :

**قد كدت أغرق في خضم مصائبي
وأموث لولا الصبر والسلاطين**

**ما ساعني إلا انحطاطي في الورى
والانحطاط مذلة وهوان**

ويختم بهذه (النجمية) الجميلة لنفسه المؤنة الملهنة :

**داري زمانك يا (أمين) وأهله
وأصبر على ما قدر الرحمان**

**فلقد ترى الإنسان دوما ذائقا
سوط العذاب ويصبر الانسان**

**وأجعل من الإيمان قوتك كله
ما خاب من في قلبه الإيمان**

ومن هذه النماذج وغيرها يبدو أن العمودي ينزع عن سلفية عربية صميمة ، وتربية إسلامية أصيلة ، وذوق أدبي رفيع ، كما تستشف نظرتها الثاقبة للحياة .

واتبنا لهذه الصورة التشاؤمية للعمودي اثبت له مقطعين نثرين كتبهما لصديقه محمد الهادي السنوسي الذي طلب منه نماذج من شعره ، وترجمة لحياته ، ليدرجه في سلك كتاب (شعراء الجزائر في العصر الحاضر) ، فكتب له العمودي يقول :

« أني لست شاعرا كما تظن ويظن الذين قرأوا لي شيئا مما نظمت في رثاء حالي ويكاثي لما حل بي من مصائب ونكبات لما عصفت بي عواصف الحوادث ، وصب على الدهر من أنواع البؤس والشقاء ما حرك لي كل ساكن وانطقتي مرغما » .

ويقول في ترجمة حياته :

« أما حياتي فحياة كل مسلم جزائري ! حياة بلا غاية ولا أمل ، حياة من لا يأسف على أمسه ، ولا يغتبط ببيومه ، ولا يثق في غده . . . تلك حياتي من يوم عرفت الحياة ، وما قد بلغت (٣٧) من عمري (في عام ١٩٢٧) ولم أظفر بعقد هدنة مع الدهر الذي أشهر علي حربا عوانا لا أدري متى يكون انتهائها ، ولا أظن أن لها انتهاء ، لأن هذا العدو القوي الظلوم ، الجائر الغشوم ، لا يسلك عني إحدى يديه إلا ليصغني بالأخرى » .
(بسكرة يوم ١٤ جولية ١٩٢٧) (١) .

وهكذا نرى الأمين العمودي رجل القانون والعدالة ورجل الثقافة المزوجة شاعرا بالأسا مرفه الإحساس إلى حد التشاؤم ، ولكنه يقاوم عوامل اليأس والبؤس بالإنسان والصبر ، وبالنباتات والتجمل والتحمل ، وكأنه في كلامه عن نفسه يصور لنا حياة كل جزائري في ذلك العهد البائد، عهد القوانين العرفية الزجرية (l'indigène) وفي النظام العسكري بالخصوص تحت الحكم الاستعماري الفرنسي .

المرحلة الثانية :

وفي أواسط الثلاثينات لما انتقلت إلى مدينة (قسنطينة) لمتابعة دراساتي الثانوية على أعلام ابن باديس وميساعديه ، كان الأمين العمودي قد استقر قبل ذلك في العاصمة وكبلا شرعيا ، ثم عميدا للوكلاء الشرعيين فيها ، كما استقر الشيخ الطيب العتيبي وأعطوا ومرشدا بها ، والكاكب الشاعر محمد السعيد الزاهري صحافيا ، ومحمد عياشي الأخرشي صحافيا ومذيعا ، والشاعر محمد العيد آل خليفة مدرسا ، وكذلك محمد الهادي السنوسي ، وهم ممن كانوا مع العمودي في (بسكرة) ، وكان لهم فضل كبير في نهضتها ، وما قد ظلموا كواكب وأقبارا في سماء العاصمة فازدهرت بهم الحياة الثقافية والسياسية فيها ، وازدادت نورا واشراقا وحيوية .

وكان العمودي يتردد على مدينة (قسنطينة) ، وفيها رايته لأول مرة ، طويلا القامة نحيل بعض الشيء يرتدي اللباس الوطني : البرنوس والقندورة والطربوش ، وتكررت رؤيتي له فيها فكان لباسه الدائم هو اللباس

كلون الجنة فيما يزعمون ، قامت لتدافع عن (جماعة السنة) كما يدعون . لم تجد هذه الجريدة سلاحا تستعمله ضد المصلحين غير السباب والشتم ، وطلب اعراض ابن باديس وصحبه بطريقة رعوية بشية ، والفاظ نابية سخيفة واسلوب مسج ريك ، فكانت (الماعيرة) هي وسيلتها الوحيدة ، فتكونت لها جريدة لتفرد هجماتها وتكيل لها الصاع صاعين بطريقة أدبية مهذبة .

كان اسم هذه الجريدة غريبا (الجحيم) ، لون ورقها احمر كلون جهنم وحروف عنوانها مكتوبة بشكل ثعابين واناعي فاغرة اغواها فوق السنة من اللهب بمساعدة ، وتحت العنوان كتبت العبارة الاتية : « (الجحيم) جريدة انتقادية تنفّس مرة في الاسبوع » يحررها نخبة من شبان الزبانية شعارهم (العصا لمن عصا) .

لا يفتوتي هنا ان اتبه الى ان جريدة (الجحيم) لم تكن تتكلم باسم (جمعية العلماء) ، انها كانت باسم من لهم غيرة عليها يدافعون عنها ولم يكن ابن باديس ولا العقبي والتبسي راضين عنها .

وكان على رأس هذه الجريدة الامين العمودي والسعيد الزاهري فرسا الرهان في هذا الميدان ، للذان اظهر براعة فائقة في ردع الخصوم بالندد والتجريح نظما ونثرا في توالي ادبية مختلفة ، من نكت ونوادر وتقصيص وطرائف فيها الجد والهزل ، والدعائية والسخرية ، يمتزج فيها الخيال والواقع حتى لا تكاد تفرق بينهما .

وهكذا اصلت (الجحيم) خصومها نارا حامية وكشفتم للرأي العام الجزائري وابانت ما في الزوايا من خبايا واظهرت ما تتلوي عليه نفوس تلك الشخصيات الدينية والادارية من خبث ومكر وخيانة لشعبهم وبلادهم ، فانكشف امرهم وبلاؤا بغضب الشعب ومقته ، وتفرق عنهم اتباعهم .

وهذا الصراع الذي بدأ بين المصلحين والطرفين هو في الحقيقة الواقع صراع بين شعب يريد الحياة وبين سلطة حاكمة ظالمة ، تسوس البلاد بقاعدة (فرق تسد) وبطريقة عنصرية توقيفية ، واحكام عرفية استثنائية ، ترخي الزمام للبعض ليقع في جبالها ، وتشدد الوثاق على البعض الاخر لتعذبه وتكبل به .

ب - الصحافة :

كان العمودي صحافيا بارعا مارس الكتابة في الصحف الجزائرية بالعربية والفرنسية في الامور الادبية،

الوطني ، وجالسته فاذا هو بسيط متواضع لا تكلف فيه ولا غرور ، كان يزور ابن باديس في مكتبه او في مدرسته كلما حل بقسنطينة .

ولان (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي تأسست في العاصمة من نحو خمس سنين وبالقبط في ابريل ١٩٢١ برئاسة الشيخ ابن باديس ونوبلة الشيخ الابراهيمى ، وكان امينها العام في هذه السنين كلها هو الامين العمودي (وكان من أبرز اعضائها غير هؤلاء : الطيب العقبي ، ومبارك الميلي ، والزاهري ، والتبسي ، وخير الدين .. الخ) - لذلك فقد كان العمودي يزور ابن باديس في (قسنطينة) في مهمات الجمعية ، او في مهمات وطنية أخرى ، او في مصالحه الخاصة ، مثل ترويج جريدته وجمع اشتراكاتها التي سأتعرض لها فيما بعد .

وفي هذه الفترة التي تقدمت الحرب العالمية الثانية أي فترة اواسط الثلاثينات ، لم يبق العمودي مجرد وكيل شرعي او مجرد شاعر يشكو الزمان وسوء الحال ، ويتصارع مع الحداث ، بل قد اصبح رجلا سياسيا يخوض غمار السياسة في صفوف الإصلاح والمصلحين ، وينافس في ميادين السياسة الوطنية ، يهاجم وينتقد السياسة الحاكمة ، والزعماء السياسيين الى جانب اهتياهم بأبوار (جمعية العلماء) الاصلاحية والثقافية .

وصار العمودي ملء السمع والبصر - في نظرنا نحن الطلبة على الاقل - وشخصية وطنية بارزة على المستوى الوطني ، كما سأتعرض لذلك في نقط معينة من اهتماماته فيما يلي :

١ - جمعية العلماء وخصومها

كانت الحركة الاصلاحية (لجمعية العلماء) قد انتشرت انتشارا واسعا في اطراف الوطن ، فكثر مدارسها التعليمية ونواديها الثقافية ، وكان لرجالها نشاط حثيث ملحوظ في مساجدهم ومدارسهم وصحفهم ونواديمهم ، وحتى في رحلاتهم وتنقلاتهم ، وفي تجمعاتهم لتدشين المدارس وافتتاح النوادي حيث يتصلون بالشعب لتوعيته ، ويمتزجون بطلقاتهم امتزاجا كليا ففكر اتباعها وبدأت تضيّق بها الدوائر الحكومية والادبوسا الطريقة الرجعية . وزيادة على حملات الصحف الاستعمارية ضدّها وما أكثرها ، تكونت هيئة ضرار من رجال الطرق والزوايا بمشادة للجمعية ، تسمى نفسها (جمعية السنة) بايعاز وتدعيم من السلطات الفرنسية الحاكمة .

وبلغ الصراع اتسده بين المصلحين والطرفين لما ظهرت صحيفة طرقية باسم (الميعار) لون ورقها اخضر

والشؤون الاجتماعية والسياسية الوطنية ، من شبابه الباكر أيام كان تلميذا بالمدرسة الرسمية (في قسنطينة) ، وذلك هو الذي جر له الطرد منها ومنعه من متابعة الدراسة في الطور الثاني الثانوي ، وله في ذلك قصيدة مشهورة . كتب في (النجاح) في عهدها الاول ، وكتب في (التقدم) للإمبر خالدة (بالعربية والفرنسية) ، وفي (الإصلاح) و (صدق الصحراء) ببسكرة - كما أسلفت - وفي (المنتقد) و (الشباب) لابن باديس بقسنطينة وفي (لجمعية العلماء) الاولى (قبل البصائر) ، وأخيرا في (الجزائر الجمهورية) : الجريدة اليومية التقدمية " *Alger républicain* " التي تصدر من العاصمة بالفرنسية ، وكان من امضاءاته العربية المشهورة امضاء (جساس) .

ثم انشأ لنفسه صحيفة بالفرنسية في العاصمة الجزائرية سنة ١٩٣٤ سماها « الدفاع » *La défense* تولى رئاسة تحريرها وجميع شؤونها ومسؤولياتها ، دامت خمس سنين واشتهرت جريدته هذه لدى قراء الفرنسية بصدق اللهجة وقوة الحجة في دفاعها عن حقوق المسلمين الجزائريين ، وهي الصحيفة الوحيدة التي كانوا يجدون فيها ما يرضي مطالبهم ويلي غايتهم يقرأون فيها ما يجهلون عن عروبهم واسلامهم ، وتاريخ قومهم ومزايلا بلدهم ، وتدعوهم للثالث والكثاف ، قبل وقت كانت بعض الصحف للمواطنين جزائريين تنشر في للتجنيس أو للاندماج مثل صحيفة (الصوت الاهلي) *La voie indigene* للزناطي التجنيس ، ومثل مجلة (صوت العلية) *la voie des humbles* للاستاذ محمد العربي طاهرات الاشتراكي على الطريقة الفرنسية (الحزب الاشتراكي الفرنسي) فكان العمودي يرد عليها وعلى الصحافة الاستعمارية المتطرفة بنسل : *(l'écho d'Alger) (la dépêche de constantine) (la dépêche de l'est) (La dépêche cotidiene)* الصحف اليومية الفرنسية الواسعة الانتشار التي لها طاقات وإمكانات خارقة ، غابى في ذلك البلاء الحسن وتعرض للمضايقات والسجن .

ج - السياسة

ندرك مما تقدم ان العمودي كان سياسيا ملتزما غير محترف ، خاض المعارك السياسية والخصومات الحزبية ، وناضل في صفوف المصلحين ضد مختلف النزعات والتيارات الاجنبية التي تتأوى الى الانتجاهات الوطنية ، وتحارب الشخصية الجزائرية ومقوماتها من لغة ودين وقضاء الخ . ولم يرشح نفسه - ولا مرة - للانتخابات ، كما يفعل السياسيون المحترفون .

شارك في اعمال (المؤتمر الاسلامي الجزائري) من يوم تاسيسه في سنة ١٩٣٦ . ويقال انه هو صاحب فكرة هذا التجمع الجزائري الكبير التي تنبأها ابن باديس ودعا لها في صفحته ، كما دعا لها العمودي في جريدته ونجحت الدعوة وشاركت طبقات الشعب ، وبمسد الاجتماعات والمناقشات واختيار المندوبين ، حررت المطالب ، وتعين الوفد الذي يذهب بها الى فرنسا وكان العمودي احد اعضائه ، ولما عارض بعض الاشخاص في تعيين العمودي ضمن الوفد ، قال ابن باديس « لا أرضى بغير العمودي ترجعنا لي ، فهو الذي يستطيع تبليغ افكارنا وترجمة كلامنا الى المسؤولين الفرنسيين ، ويقلل الى كلامهم بأمانة واخلاص فالامين العمودي هو لساني (الامين) الذي لا يغيب بيديا » وحسب العمودي هذه الشهادة من ابن باديس ، وسافر الوفد وفيه الامين العمودي .

وبعد رفض الحكومة الفرنسية لمطالبهم ، وخيانة الدكتور ابن جلول أو تكوصه عن المؤتمر ، وبعد فشل (المؤتمر) أمام المهيطلات والعراقيل ، وتعرض أصحابه للسجن ، وخروج كتلة النواب المسلمين منه ، تالتت حينه أخرى سنة ١٩٣٧ للمحافظة على اهداف (المؤتمر) والدفاع عن أسسه وقواعده ، تدعى (شباب المؤتمر) ترأسها مترجما الامين العمودي وكان الفضيل الورتلاي نائبا عنه فيها .

وكان العمودي صولات وجولات في الصحافة وفي المجالس والمجالس بمجموعة النواب المسلمين بزعامة ابن جلول الذين تخلوا عن (المؤتمر) تبعاً لزعيمهم أو محافظة على وحدتهم في زعيمهم مثل ما كان ضد رؤساء الضلال من طرفيين واداريين المائلين للنظام الاستعماري أو المتعاطفين معه من جزائريين وأوروبيين استعماريين .

هكذا كان العمودي في الفترة التي تقدمت الحرب العالمية الثانية ملء السمع والبصر في البلاد الجزائرية كلها ، يتمتع بنشاط وحيوية فائتين ، لا يكاد يجهله الا الاغيار الذين لا شأن لهم بما يراى بهم ، يكتب ويخطب باللغتين العربية والفرنسية بسهولة ويسر نادرين ، ويكافح وينافح في المبادئ السياسية والاجتماعية بشجاعة نادرة وإيمان قوي ، وكان له انصار اقوياء واعداء الداء ، شأن كل عظيم له مكانته وخطره فسي المجتمع .

الرحلة الثالثة :

ومن قيام الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ الى اندلاع حرب التحرير الجزائرية وخصوصا بعد انتقاله الى عمالة وهران للعمل في مدارس جمعية العلماء

(اليـد الحـراء) المـجـرـبة الـتي تـعـقـبـت المـثـقـفـين بـالـخـصـوص
فـمـات شـهـيـدا رـحـمـه اللـه رـحـمـة وـاسـعـة و غـفـر لـه مـا تـقـدم
مـن ذنـبـه و مـا تـأخـر . و كان المـعـودـي و احـدا مـن مـائـمـة
شـهـدائـن الشـخـصـة الطـولـبة .

خاتمة :

لـلـمـعـودـي نـكت بـارعة و أجـوبة مـسـكـنة اشتهـر بـها
بـيـن مـعـارـفـه و له نـوادر و بـدائع و طـرائـف لا تـروى الـا نـسى
المـجالـس الخـاصـة ، يـعـرـفـها اصـدقـاءه ، و يتـناقـلـها احبـاؤه
و المـولـمـعون بـهذا الفن مـن القـول .

و كان الـابـراهمـي شـيـخ الـادبـاء مـعـجـبا بـها ، مـما يـدل
عـلى قـيـمـتها الـادبـية و مـنـله فـي هـذا نادر عـندنا ، ثم هو مـرح
خـفـيف الـروح طـلو الحـديـث ، بـسـيـط فـي مـظـنـه و مـلـبـسـه ،
سـيـل لـيـن فـي تـعـالـمـه بـع اصـدقائـه ، صـعب المـراس شـرس
الطـبـاع مـع خـصـومـه و اعدائـه اذـا الـامر يـتـعلـق بـبـدا مـن
المـبادئ الـوطـنـية المـقدـسة ، و هو نـبـيـه سـريـع البـديـهة ،
ذكي دقـيـق المـالـحـظـة ، خـبـير بـالـسـياسـة الفـرنـسـيـة ، ضـليـع
بـقـوائـنـها و احـكـامـها ، يـعـرف خـبـث المـسـتـعـمرين و دجـل
الذـنـجـالـين ، بـارـع فـي التـرجـمة بـالعـربـيـة و الفـرنـسـيـة
الـمـعـشـوران عـندـه فـي النـقل مـنـها او اليـها) نـاقـد بـصـير
بـعـيوب المـجـتـمـع ، سـاخـر احيـانا ، و سـاخـط احيـانا آخـرى ،
صـادق مـريـح فـيـها يـرى و يؤيـن بـه مـن الـراء ، شـجـاع فـي
اـبـداه رايـه لا يـسـيـل لـومـة لـام و لا مـسـطـوة ظـالم .

رحـمـه اللـه رـحـمـة و اسـمـة و ائـابـه عـلى مـا جـاعـد
بـه فـي الـعـالـم .

مـحمـد الصـالـح رـهـضـان

— القـبـة —



(مـن سـنة ١٩٤٣ الـى سـنة ١٩٥٣) و اسـتـقـرارـي غـسى
تـطـمـسـان عـلى الـاخـص (و هـي فـى اقـصى الغـرب مـن بـلادنا)
حيـث كـنت اسـمـع عـن القـطر الشـقـيـق (المـغرب) اكـثـر مـما
اسـمـع مـن بـلدى الجـيـب (الجـزائر) لان التـطـمـسـائـين كـانت
عـلاقـاتـهم بـالمـغرب الـاقـصى فـي عـهد المـلك مـحـمـد الخـامـس
مـثل عـلاقـتـهم بـوهران و سـيـدي بـلـعبـاس مـثـلا .

اـمـا عـلـانـتـهم (بـالـجـزائر) و (قـسـطنـطينـة) فـلا
نـكـاد نـذكـر لـقـبـنا مـع (الجـزائر) و نـدـرتـها او مـقـدـمـها مـع
(قـسـطنـطينـة) .

اقـول اـنـني فـي هـذه العـتـرة الـتي تـقـدر بـعـشـر سـنـين
انـتـطـمـعت عـلى فـيـها اـخـبـار الـابـيـن المـعـودـي الـتي كـانت
تـشـغل الرأى العـام الجـزائـري ، فـلم اـعد اقـرا لـه شـيـئا ،
و لا اكـاد اعـتـر لـه عـلى ذـكر او اثر ، او يـصـلـني مـنـه خـبر ،
قـد يـكـون السـبـب الرئـيسـي هو الحـرب العـالمـية الـتي شـغـلت
الـدنـيا كـلـها ، و اذـهـلت النـاس عـن انـفـسـهم و ذـويهم ، و لـعل
و بـلات هـذه الحـرب اصـابـت المـعـودـي فـي نـفسـه او فـي عـمـله
او مـاله ، فـنـالـت مـنـه كـما نـال مـنـه تـقـدم السـن و هـيـوم
الزـمـن ، فـائـر العـزلة و الـانـتـطـاع لـاهـل و شـؤـنـه و عـمـله ،
و قد يـكـون الـسـبـب هو اـتـمـاعـدي انا عـن مـركـز النـهـضـة فـي
(الجـزائر) و (قـسـطنـطينـة) .

و الشـئ الثـابـت عـندـي ان المـعـودـي لم يـمـد يـد كـتـب
او يـخطـب او يـجـول فـي هـذه الفـتـرة كـما كـان يـفـعل
لـمـاذا ؟ لا ادري ، قـد يـكـون مـسـجـن او عـبـس و قـيـد
يـكـون حـجـر عـلـيه ذـلك ، كـل هـذا مـمـكـن فـي و قت الحـرب
و مـع النـظـام الـاسـتـعـمـاري بـالـخـصـوص .

و فـي السـنـوات الـاولى لـحـرب التـحـريـر الجـزائـريـة
(٥٧-٥٦) اقـبـت فـي حـي مـن الـاحـياء المـنـطـرـسـة
لـلـعـاصـمة ، كـنت ارى المـعـودـي فـي مـكـتـبة لـاحـد اقـربائـي
فـي سـاحـة الشـهـداء ، قـربـية مـن مـحل عـمـله ، يـجـلس فـيـها
و نـتـظـارـه البـيـضـاء ، و قد اجـتاز عـتـية المـقدـم السـادس مـن
عـمره بـضـع سـنـين ، يـدو عـلـيـه الـوهـن الذائـي ، و لـكـنـه
و اع ذكـور لـلامـور القـديـمة الـتي مـرت عـلـيـه ، فـاذا سـالـفـاء
عـن خـصـومـه السـياسـيين بـالـامـس و مـعـاركـه مـعـهم ، يـقـول :
« خـوضـوا فـي غـير هـذا يـسـارك اللـه فـيـكم ، لـقد طـلـقت
السـياسـة و السـياسـيين (يـقـصـد سـياسـة الـاحـضـراب
و المـتـحـزبـين) ، فـلم يـعـد يـعـنـيـني مـن اـهـرها و اـمـرهم شـئ » ،
و هـكـذا كان الرـجـل شـهـبا عـظـيـما فـي حـريـه و سـلـبـه نـاشـل
و حـارب بـشـرف ، و و نـسـع السـلـاح بـشـرف لا يـريد ان يـنال
مـن خـصـومـه بـكـلـية سـوء فـي غـيـابـهم .

الى ان فوجئنا يـوم ١٠-١٠-٥٧ باغـتـيـاله مـن طـرف

(١) يـنـصـدر المـعـودـي الـجزء التـالـي مـن (شعـراء الجـزائر فـي العـصر
الخـائـر) و فـيـه مـجـمـوعة مـن شعـره فـي شـبـابه ، و مـنـه اخـذت هـذه
الـقطـع و المـقـطـوعات .

عندما تشتعل النار بقلبي
 عندما ينهار هذا الوجه قربي
 عندما تذبل عيناك حبيبي
 عندما تحزن اشجار الصنوبر
 عندما يستيقظ الحب بقلبي
 اضرم النار بجسمي
 ولعينيك اصلي
 ولعينيك ، لعينيك ، لعينيك اغني
 واغني مثل طفل
 وكنور الصبح امشي
 ثم امشي ، ثم امشي
 ويجيء الصبح والفجر ، يجيء النور
 والحب ، يجي السهل والصعب ،
 يجيء السلم والحرب ، يجيء
 ولعينيك اصلي
 ولعينيك اغني ، واغني
 ومعني القلب يقني

عاشق يا ايها الوجه الذي احزنني
 وله يا ايها القلب الذي عذبني
 وزمان الحب والشوق زمان
 يحرق القلب ويضنيه
 واه لبنان تمهل
 لارى فيك شقائي
 وارى فيك عذابني
 فتمهل مركب الحب تمهل
 وعلى الصعب تمهل
 ففؤادي اسرج الريح وسافر
 وعيوني عشقت شمس الزمان

لعينيك عيني

شعر
 الازهر
 عطية



ميراث البحر

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

مرزاق بقطاش

في الجانب الايمن يزحف الكتيب الرمل
على روبة غارقة في العتمة بسبب
التصب الملتف في تعاريجها ، وفي
الجانب الايسر تنعرج صخرة هائلة
حول نفسها ، فتشكل خليجا صغيرا

انعكست على جوفه اضاء ليس
يدري مصدرها ، فالتقى
غائب ، والنجوم بعيدة جدا .
خرخرة الموجة تتردد بانتظام على
الرمل ، تتطامن قليلا ، وتعاود الكرة .

رائحة الاعشاب البحرية اليابسة
ترتفع منه . لشد ما تزداد رائحتها
تعفنا في قلب الليل ، لعل الرطوبة
تساعدنا على اخراج ما في بطوننا .
الزورق منطرح على الرمل ، وقد

يحول دون هجمات الموج حين هياج البحر . ولوق الصخرة تقوم منارة صغرية كان لها شان فيما مضى عندما كانت الزوارق تؤم هذا الخليج الصغير . اما اليوم فانها تنفي في الليل ولكن دون ان تهدي احدا . على مبعده قليلة من الخليج الصغير تقوم مخور عديدة تبدو مذبذبة في جنح هذا الليل . ضوء المنارة لا ينعكس على صفحة الخليج ، ولا على الصخرة ذاتها ، ربما لان المنارة مرتفعة جدا .

الزورق لا ينتظر الا لدفة قليلة لينزل فوق الماء . فالموجة تلحس مقدمته قبل ان ترد . انه يغريه بالزورق ، ولكنه سرعان ما يعود الى يأسه . عقب السجارة يلتمس في شفتيه ، ويده تستندان الى السور العريض . انه يحس بتويع من التشنج تسري في جسده . الافضل له ان يشعر بالبرد بدلا من الحرارة فهي تزيد من ضغط دمه . وقد نهت الطبيب الى الابتعاد عن الصيد ، لان حرارة الشمس قد تسبب له ذات يوم انجفارا في شرايين مخه . انه لا يكف عن الشكوى من الصداد الذي لا يبرحه . لقد اشتد عليه خدخال السنيتين الاخريتين . ولكن ليس له مناس . فعليه ان يخرج للصيد مهما كان الجو ، فهناك خبسة افواه تنتظره . ثم ان عليه ان يعتني بنفسه اكثر من اللازم ، فلولا ان لاتقطع الرزق عن تلك الافواه . الاعوام الستون التي يحلها لا يجب ان تحول بينه وبين الصيد . الفطلة الوحيدة التي ارتكبت في حياته هي زواجه في سن متقدمة من امراة ولودة اعطته خبسة افواه في ظرف سنوات معدودات . سحب تنسا اخيرا ، وبصح العقب . فعليه ان ينزل الان الى البحر ، والا فانه سيدنس . انها الثالثة صباحا ، وليس هناك من صياد يغامر في الخليج سواه . ثم ان جراد البحر يخرج من مخابئه في مثل هذا الوقت . فعليه

اذن ان ينصب شبابه الصغيرة حول الصخور المدبية .

بعد قليل سيزج الفجر ، وقد تم احدى زوارق الحراسة فتلقى عليه القيش . الافضل له اذن ان ينصب شبابه ، ويعود الى الشاطئ بسرعة . الملاعين : لقد اخذوا كل شيء ، ولا يزالون على جشعهم . لديهم شركة صيد ، وتقاية صيادين ، ومع ذلك فهم يريدون منه ان ينضم الى نقابتهم تلك . لقد سبق لهم ان طلبوا منه اقتناء الات المراقبة والانقاذ الضرورية على سطح زورقه ، واشترها . وطلبوا منه الحصول على ترخيص من جمعية البحارين ، فحصل عليه مقابل اربعمئة دينار . فما الذي يريدونه الان ؟

لعله يتغلب ! الحقيقة واضحة اباه . انه الوحيد الذي يعرف طرق اصطياد جراد البحر ، ويعرف بمخابئه ، والوقت الذي ينصب فيه شبابه . انهم يريدون منه معرفة كل ذلك . وهذا يعني انه سيقبض جوعا هو وافواه الخبسة . لقد ذهبوا الى ايد من ذلك ، طلبوا منه ان يبيعهم صيده كل يوم حتى يقوموا بتسويق ، لكنه رفض . وهو يعلم جيدا ان لا حيلة له سوى الرضوخ لاهوائهم ذات يوم . اخذوا بارسال زوارق الحراسة لترصده في الخليج . واستطاع حتى هذه اللحظة ان يخادعهم ، ويخفي وراء الصخور . فهو يعلم انهم لن يغامروا بزوارق الحراسة بين تلك الصخور المدبية . وبقي لهم سبيل واحد للانقراض عليه . سوف ياتون ذات يوم بزوارقهم من الطريق .

تحرك قليلا ، واستعد لنزول الدرج المنرج . الثقة في يده ثقيلة ، ورائحتها لا تقوى على ان تغطي على رائحة الاعشاب البحرية ، مع انها تحل في جوفها السردين والسراطين البحرية التي حصل عليها قبل اربعة ايام . انه لا يشعر الان بأبنا صداع . الا

ان عينيه قد فقدتا حدتها نوعا ما ، بل ان هناك زرقة خفيفة تعلوها . لقد قال له الطبيب انها بداية الجلوكوما ، فلم يفهم شيئا مما قاله . الانفصل له ان يزداد اعتناء بصحته ، وخاصة بعينه . فلولاها لكان وقع بين ايديهم . فرك ذقنه قليلا ، وقد عوده الياس . لو نزل الان لاجاوه ، ولو احجم عن النزول لثوت على نفسه فرصة الحصول على صيد ثمين ، فما العمل ؟

عاود الاستناد الى السور ، وتقص ساعة . انها الثالثة وعشر دقائق . جراد البحر يخرج من مخابئه في مثل هذه الساعة . عليه ان ينزل مهما كان الحال ، خاصة وانه اتفق مع احد اصحاب المطاعم على تزويده بجراد البحر كل يومين . يجب ان يفي بوعده ، والا ضاع خبز افواهه الخمسة . الكلاب ! انهم يريدون شراء جراد البحر بثمن رخيص لكي يبيعوه الى اصحاب المطاعم . لم لا يقوم بذلك هو ؟ لقد اضطلع بمثل العديد من اصحاب المطاعم ، وتعاقد معهم ، ووفى بوعوده . انراه كبر الان ، ولم يعد يقوى على مثل هذا العمل الملاعين : لقد اخذوا كل شيء . انهم يريدون البيت . ولكن هيهات ! لو كانت لديهم حيلة لجأؤوه بطريقة اخرى . فهم يعلمون ان لا احد بينهم يحسن صيد جراد البحر . اما كان ممن حقهم ان يأخذوه معهم ويستفيدوا من تجربته ؟ انهم يريدون كل شيء بسهولة . بالاس القريب فقط ، كانوا يحلون السلع في الميناء على ظهورهم ، واليوم أصبحوا صيادين مهرة .

اشعل سيجارة جديدة ، فاحس بحرقه في عينه اليمنى . هذه العين بدأت تعجز عن تبين الاشياء في قلب الليل . وقد تذخه ذات ليلة ! من يدري ، فقد يكونون الان مخفيين وراء

بصغير حاد ، وبطائر ضخمة الجثة يخرج من قلب القصب ويعرج فوق الخليج ثم يغيب .

ولم يجد بدا في تلك اللحظة من ان يرسل تنهيدة طويلة ، شفعها بضحكة قصيرة على غير وعي منه . ثم انه شئ سرهه وطرح ففته داخل الزورق . غير انه قبل ان ينفذ في اتجاه السور ليتثبت من ان احدا منهم لم يتبعه في جنح الظلام .

عندما انزلق الزورق فوق سطح الماء ، احس بخفقان شديد في صدره . ولم يدرك ما اذا كان ناتجا عن الخوف ام عن السرور . حبذا لو انه لم يتزوج ، لكن اذاقهم الوانا من السخرية . خبز الافواه الخمسة يناديه ، وصاحب المطعم ينتظر منه دفعة من صيد سمين . وهؤلاء الملاعين يطلبون منه ان يبيعهم صيده ، وينضم الى تقاليدهم . هذه المرة افلت منهم ، وقد يقع بين ايديهم ذات ليلة .

مرزاق بقطاش

سوف يكون فريسة لهم في ليلة قادمة . وعاود نزول الدرج ، وهو يلعن الدنيا في قرارة نفسه . الكلاب ! بالامس القريب فقط كانوا ينقلون السلع على ظهورهم حتى تنهرا جلودهم ، واليوم ينقصون عليه عيشه بعد ان قضى اربعين سنة في البحر . الافضل له ان يقلع عن السب والشتم ، فقد تقلت منه فرصة الحصول على صيد ثمين . جراد البحر يناديه . انه يشعر بندانه حقا . فالزمن كئيل بان يخلق الاعاجيب . هذا هو الفرق بينه وبينهم .

خطا خطواته الاولى على الرمل . ثم توقف ، ونقل بصره في اتجاه الخليج . الكلاب ! قد يكونون بالصيد . المنارة هذه سوف يكسرها ذات يوم . انها تساعدهم . لولاها لما وجدوا طريقهم الى هذه الناحية من البحر . عليه اذن ان يكسرها ان اراد ان يضمن خبز الافواه الخمسة . هذا هو الشرط الرئيسي الذي لا ممانس منه . عليه ان يكسرها .

في هذه اللحظة بالذات ، سمع صفيرا حادا قادما من الربوة نسي الجانب الايمن من الخليج . واحس برعشة الخوف تعروه . لهملمهم تبادلوا الكلمة للقاء القبض عليه . قد يكونون وراء القصب الملتف . ووقف في مكانه وقد غاصت رجلاه في الرمل الندي . وانتظر . وانهتظ . هنيهة عساه يرى واحدا منهم . انهم ناس جبناء لا يأتون فرادى . شعر انذ ان عليه ان يصرخ في جنح الظلام حتى يستثيرهم . غير انه فوجيء

الصخور المدبية ؟ كلا انهم لن يغابروا بذلك . البحر لا يفهمه الا السدي يعشقه . وحشى الذين يعشقونه لا يغابرون فيه . انه يعرف هذا الخليج جيدا . يستطيع ان يرسم صورة لقيعانه ، والصخور التي يحشوي عليها . انهم لن يخدعوه !

الاعوام الستون تنقل عليه . انه يحس بها الان . حبذا لو انه لم يتزوج ، لكن اذاقهم الوانا من السخرية . الافواه الخمسة مصيبة وقعت عليه في كبره ، وجراد البحر ينتظره . عليه ان يسرع بالنزول والا فاته الوقت . هيهات ان يخضعوه لاهوائهم !

ونزل قليلا في الدرج ، ثم تردد في وقفته . انه خبز الافواه الخمسة ولا يحق له ان يغابر . لقد تواعد مع صاحب المطعم ، وابتغى عليه ان يني بوعده . ولكن ، من يدري ، فعملل صاحب المطعم ان يكون واحدا من المتعاونين معهم ! لقد عرف فيما مضى ان اصحاب المطاعم والمتسامي كانوا يتعاونون مع رجال الشرطة ، ولعلمهم اليوم يواصلون مهمتهم هذه ! وهنا داخله الشك في كل شئ . انهم يعرفون بيته ، وقد يذهبون في جنح هذا الليل ويسألون زوجته عنه ، فما عساه ان تقول لهم ؟ وعاود صعود بعض الدرجات . غير انه لم يتشجع على العودة الى بيته . خبز الافواه الخمسة يناديه ، ولا يحق له ان يهمله . لو انه ظل على عزوبته لسخر منهم ! عليه اذن ان يرضى بالواقع ، فهو ان لم يقع بينهم الليلة ،



عندما اتوقظ في الماضي

شعر: مصطفى الغماري

وللاطفال.. رمزاً موهلاً .. يمتد .. يلتهب
أنا شفتاك يا ذاتي .. وأنت الورد والفضب

* * *

الهي .. شاخت الأبعاد .. بين المهر والفسق
ونابت في المدى المشلول .. في أرجوحة الرهق
وجف غيرها الزيف والصدق
وغنت دونما نحن .. لأفراق ومرزق
وتاهت غربة سوداء بين الموج والقلق
فهل تدركين ، يا أبعاد ، ما في الحرف من عبق

* * *

الهي .. هل نلتاع من يهواك .. لكن دونما عبره
دموع العشاق في نجواك طوفان من الثورة
دموع العشاق .. لو علموا .. لذابوا في الهوى مره
دموع العشاق .. يا ناعون .. في دما روى حمره
رؤى تستلهم التاريخ تعصر ناره خمره
تفك رموز هذا العصر .. تصنع وجهه .. فجره

* * *

الهي .. اتني سفر ووجهك في الهوى زاد
واني الرقص مهما لج أرغاء وأزباد ..
ونارك في دمي الم به تخضر أبعاد
ويصلب يا صدى الناعين تليق والحاد
وافنى فيك يا المي .. ليصحو فيك ميلاد
لنا يا درب في مقل الشمس الخضر ميعاد

مصطفى الغماري

أتيت اليك يا ذكري .. في شفتي أسرار
من الالم الرحيم .. وملت نار العشق أصرار
أتيت اليك .. يسفني - كما تهوين - أعصار
أنا اللهب الذي تنفأ .. تورق منه أمطار
أنا الماضي على عينيك مزدهر .. أنا النار
أنا الدرب الذي طالبت به الشكوى .. أنا النار

* * *

أحسك في دمي يا الف جرح راعف النجر
لهيبا .. يصلب الناعين .. بين المهر والسكر
المك في دمي عريضة القسمات والتبر
واترك في صدى الوادي مرايا الجمر والتمر
ليورق الف نيسان بجفني .. ينتشي عطري
وأطر أطر الوادي بسيف الورد والجمر

* * *

واخترق المدى .. انساب بين الليل والعشق
الملم فرحة العشاق .. فوق مآتم زرق
يطوف هواك في ناديهم .. بإسدره الشوق
فيشربني اللقاء البكر بإحسان .. لا يبقني
ويزهري في هواك الليل أضواء .. وفي عمقي
أحسك شعلة الماضي نسوق مشارف السبق

* * *

إذا انعقت على عينيك أشواق .. فلا عجب
ولا عجب إذا غنى وجودي .. كلنا طرب
وأنت أنا .. وذاتي فيك صحو مطلق .. لهب
يبد هواك في الوادي قصيدا أخضرًا يثب



للقاء
مع
المفكر
الجزائري

الأستاذ عبد المجيد مزيان

تفاءل بوحدة
الثقافة العربية
لأننا خرجنا
منذفتة قربية
من العزل الاقليمي

هناك تناقضات
بين سياسة
الاستقلال الاقتصادي
وسياسة الخضوع
التكنولوجي

مبدأ التعريب
لا يزال اختياراً
سياسياً
أساسياً
في الجزائر

اعداد : سليمان الشيخ

التقينا به اثناء تواجده في الكويت لحضور اجتماعات خبراء الموسوعة العربية الذي دعت له المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وهذه حصيلة المقابلة التي اجريناها معه :

● نرحب بك أستاذ عبد المجيد ، ونأمل ان تحدثنا عن موضوع التعريب في الجزائر ، وضعه الراهن ، المشكلات التي واجهته وتواجهه ، ونصورك لوضعه المستقبلي ؟؟

الأستاذ عبد المجيد مزيان أستاذ الفلسفة وعلم الاجتماع في جامعة الجزائر ، الذي صدر كتابه « النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأصولها من الواقع الاجتماعي العربي » مؤخراً عن إحدى دور النشر في الكويت ، والذي شارك في تأليف كتاب « الزمن والثقافات » وأصدرته منظمة اليونسكو العالمية بالفرنسية والانكليزية ، وصاحب العديد من الدراسات والأبحاث المنشورة في العديد من المجلات العربية والفرنسية ،

مادتي العلوم والرياضيات .

● أما الجامعات فقد تم تعريب أقسامها الأدبية ومعظم مواد العلوم الإنسانية وبعض الأقسام العلمية ، أما الطب والصيدلة والهندسة ومختلف العلوم التقنية فأتتها تدرس بالفرنسية حتى الآن . وعلى أن أشير إلى أن معظم المدرسين الآن أصبحوا من الجزائريين .

● كما أنه من المفيد الإشارة إلى أن سياسة التعريب في التعليم تمرت ببعض الشيء في المستتبين الآخرين بسبب التخوف من الاستعجال الذي قد يؤدي إلى التدني في المستوى . غير أن مبدأ التعريب لا يزال اختيارا سياسيا أساسيا في هذا الميدان .

● أما التعريب الإداري فهو الذي لقي أكثر الصعوبات والعراقيل ، ومرجه في ما يبدو إلى الأطارات التي أبقت حتى الآن على التقاليد الروتينية الفرنسية ، غير أن هناك بعض الوزارات حققت التعريب الكامل ، مثل وزارة العدل ، الشؤون الدينية ، ورئاسة الجمهورية ، بينما أبقت الوزارات الأخرى التي هي أكثر اتصالا بالشعب مثل الداخلية ، البريد ، والمالية ، متقدمة في قضية التعريب . والحقيقة أن القضية تستحق حسما سياسيا

ARCHIVE
www.betabeta.sakhril.com

● أما تعريب المحيط الاجتماعي فقد حققت فيه الكثير من النجاحات ، ويبدو أن الجزائر ليست بمختلفة في هذا المجال عن أي بلد عربي آخر ، لكن كل هذه الجوانب مربوطة بقضية معينة وهي قضية الأمية التي ما زالت تبلغ حسب إحصائيات عام ١٩٦٨م ٦٢٪ من السكان ، ومن الممكن أن تكون الجزائر الآن قد تقدمت كثيرا في هذا الميدان بسبب تعميم التعليم بين الفلاحين والعمال (شبه إجباري) ، ولا يوجد هناك طفل جزائري بدون تعليم (إجباري) ، وإذا ما استمرت هذه الجهود بوتيرة متصاعدة فإن الجزائر يمكن أن تصبح من أقل الأقطار العربية أمية .

● أما بالنسبة للإنتاج الأدبي ، فقد عشنا منذ عشر سنوات تساقا بين الأدب الناطق بالعربية والأدب الناطق بالفرنسية ، ويبدو أن الأدب الناطق بالفرنسية يعيش الآن في آخر مراحله ، بينما الأدب العربي يعيش « رحلة الفتوة » ويتكاثر ويزدهر ، والسبب في هذا يعود إلى المدرسة الجزائرية العربية .

● كما تبدو نتائج التعريب جلية في ميدان النشر في الصحافة ، حيث أصبحت الجرائد اليومية موزعة كما يلي : ٣ جرائد عربية يومية هي : « الشعب » ، « النصر » ،

— لقد عاش المجتمع الجزائري طوال مدة الاستعمار فترة استلابية ، إذ كانت الإدارة الفرنسية تلجأ لمحاربة الثقافة العربية والإسلامية بكل الطرق والأساليب ، وكانت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية الوحيدة ، ولم تكن هناك ثقافة حرة بمعنى الكلمة تمكن الناس من ثقافتهم في المستوى المطلوب ، الذي هو مستوى مجابهة الثقافة الفرنسية ، إلا ما هو معروف من مدارس « الكتاتيب » التي تدرس القرآن وبعض مبادئ العلوم الإسلامية .

وبظهور وانبثاق الحركات الوطنية الجزائرية في أوائل القرن العشرين أتت مجابهة لهذه الوضعية الثقافية المؤلمة وخاضت ضدها الكثير من النضالات التي أثمرت ظهور حركة تعريب ثقافي في الأوساط الشعبية تزعمها العلماء الوطنيون ، وابتداء من سنة ١٩٣٠م تم إنشاء بعض المدارس الحرة التي كان يتلقى فيها الشباب تعليمهم العربي ، وقد وصل عدد هذه المدارس عام ١٩٤٨م إلى ٥٠ مدرسة ومعهد ثانوي ، غير البعثات الكثيرة التي أرسلت إلى تونس والمشرق العربي .

كل هذا كان ضمن خطة الصراع ضد الاستعمار الفرنسي الذي حارب هذا النوع من الثقافة بكل قواه السياسية والإدارية والعسكرية .

وعندما اندلعت الثورة الجزائرية سنة ١٩٥٤م ، فإن بيانها الأول دعا للرجوع إلى الثقافة العربية الإسلامية ، كما أن مختلف وثائقها أكدت على إنشاء الجزائر العربي الإسلامي .

وبمجرد أن ثالتت الجزائر استقلالها أتت مجابهة بمجابهة مشاكل التعريب من الوجهة التطبيقية ، ويمكن أجمال الصعوبات بالتالي :

● الأطارات السياسية كانت بمجملها مكونة تكوينا فرنسيا ، عدا أساتذة المدارس الذين كانوا يعرفون العربية والذين لا يؤلفون إلا خمس المجموعة الكاملة للمدرسين .

وزيادة على هذه المشكلة ، فإن مشكلة تكوين الطلبة والأطارات ضمن إطار سياسة التثنية بأسرع الوسائل أخذت بالبروز ، لذلك فإن القيادة لجأت لاتباع الطريق المرحلي في التعريب .

فتركزت الجهود على التعليم الابتدائي مبدئيا ، فعربرت جميع أقسامه في سنوات قليلة ، ووفرت له العدد الكافي من المدرسين .

● أما التعليم الثانوي فقد جرى تعريبه تدريجيا بسبب قلة المدرسين الذين يجيدون العربية خصوصا في

« الجمهورية » ، في حين أن هناك جريدة يومية واحدة بالفرنسية هي « المجاهد » .

أما الدوريات الأسبوعية فهناك اثنتان بالفرنسية هما : « جزائر الأحداث » و « الثورة الجزائرية » ، بينما يصدر أسبوعيا وشهريا بالعربية — « المجاهد الثقافي » — أسبوعية ، « الثقافة » ، « الأصالة » ، « الوان » ، « آمال » ، « شهرات » .

أما من حيث سياسة النشر فإن المجهودات الحكومية تتجه دائما لتشجيع الكتاب العربي .

● من خلال هذه الحقائق غائنا يمكن أن نتفائل بمستقبل العربية في الجزائر ، رغم كل العراقيل التطبيقية التي تعانيتها البلاد من حين لآخر ، إلا أن سياسة التعريب هذه لم تقف حجر عثرة بوجه سياسة التفتح تجاه اللغات والثقافات الأجنبية التي عرفت منذ الاستقلال تقدما ملحوظا خصوصا في الميادين العلمية ، واستيراد الكتب والمجلات الأجنبية بكميات ضخمة .

ويبدو أن التوازن بين التعريب والانفتاح الثقافي هو المبدأ السياسي الأساسي للثقافة الجزائرية في هذه المرحلة .

● لا شك أن موضوع التنمية وضمنها التنمية الثقافية لها وضعها الخاص في عالمنا الثالث ، فكيف هي الأمور في الجزائر ؟؟

— لقد أصبحت التنمية مربوطة بتقديم التكنولوجيا في عصرنا الحاضر ، والسياسة المألى في هذا الميدان هي السياسة التي ترمي إلى الخلق والاستغلال التكنولوجي في آن واحد .

ولكن هذه النظرية المثالية بعيدة المنال ، وحالة الجزائر في هذا الميدان لا تختلف كثيرا عن أغلبية البلاد العربية ، غير أن هناك مجهودا خاصا تبذله الجزائر في ربط التكوين العلمي للأطارات بسياسة التنمية ، إلا أن هذا لا يثني وجود صعوبات ضخمة في هذه المرحلة تفرضها حالة استيراد التكنولوجيا ، وما يملئه هذا الاستيراد من استلابات ونكسات وانحرافات ثقافية .

مع ذلك غائنا يمكن أن نقول أن العقيدة الرسمية للجزائر التي هي اشتراكية مع ترابط عربي قد تؤدي لنتيجه الإلحاحات وإيقاظها بعض الشيء إلى متاهات التكنولوجيا المستوردة ، والجزائر الآن ما زالت في مرحلة ابتدائية من تنبيتها ، وهي تعاني نفس الصعوبات التي تعانيتها مصر أو سوريا أو العراق من تناقضات بين سياسة الاستقلال الاقتصادي وسياسة الخضوع التكنولوجي .

ويبدو أن الطول الشاملة ليست قريبة المنال بالنسبة لهذا الجيل ، وتبقى الوحدة العربية هي التي

يمكن أن تعطي العرب حصانة اقتصادية وتمكنهم الانفلات من مقابض الاستعمار الجديد .

● في ظل السياسات الرسمية الحالية ، هل يمكن للقوات الثقافية أن تلعب دورا في تحريك وإبقاء قضية الوحدة العربية حية ، وأمالا منشودا ؟؟

— يبدو أن سياسة الاستعمار الجديد المتشعبة الاتجاهات قد حاولت وما زالت تحاول انشاء وتثبيت غوارق اقلية وجهوية بين العرب ، الثقافة في هذا الميدان مقصودة من الاستعمار ، ويمكن اعتبار السياسة أساس التثبيات الثقافية ، غير أن البنيات الاجتماعية العربية إذا ما أخذت من قواعدها التي هي الشعوب ، تعد قوة اجتماعية وروحانية لا يمكن كبتها إلى ما لا نهاية ، فإذا كان السياسي والمثقف اللذان يعيشان الاستلاب الاستعماري ينساقان مع هذا التثبيات ، فإن المثقف الذي يعكس حقيقة الطبقات الشعبية يناضل بكل عبق وإخلاص من أجل الوحدة العربية في إطاره الثقافي المسموح به لحد الآن .

ويمكننا أن نتفائل بوحدة الثقافة العربية لاننا خرجنا منذ فترة قريبة من العزل الاقليمي وتبناها إلى الاستلابات الاستعمارية ، وبدانا ندرك القوة التي يمكن الحصول عليها بسبب الوحدة ، وتعد التثبيات الواقعية في هذا الميدان بداية للتوعية الشاملة في بلدنا العربية .

غير أن عملية التوعية باتجاه الوحدة تتطلب الخروج من هذا الشغور العفوي إلى تخطيط دقيق في الميدان الثقافي .

وأنه لمن المضمون بحكم السوابق التاريخية ومن خلال التجارب الأخرى في العالم ، أن الإنكار التسيي يفرزها الواقع تسويق التطبيقات السياسية ، والجيل الذي سيطعم بالثقافة الوحودية فاته لا شك سيجعلها هدفا سياسيا حينما يبلغ رشده في ميدان العمل . أما السياسيون الحاليون فانهم ما زالوا يمشون استلاب الوطنيات الضيقة ، واستلاب الخوف من الاستعمار وسقوطه .

والمثقف العربي مطالب في هذه الفترة بأن يتبنى تفكيرا واعيا ومنهجا أشد الانتباه للدرات والعقد التي تعيشها السياسة العربية الآن .

فالثقافة العربية هي كسائر الثقافات العالمية رائد للتطبيقات السياسية ، وعليها أن تكون في مستوى الرائد الواعي رغم الثمرات التي نشاهدها في هذه المرحلة .

بقي أن أقول أن المنظار الذي أرى فيه الثقافة هو منظار نمائلي تقدمي .

(غيلان الدمشقي) الذي وقف ذات يوم في العصر الاموي رافضاً
السباسة الاموية المتعسفة وأعلن أن مال الشعب للشعب ، وقد
صلبه الامويون على ابواب دمشق .

فما عثرت الا على : خرق توسد حجارة الطريق
تبحت — هي الاخرى — عن واحد
يلهبها : حبا .. يضرهما حريقا ؟
لعلها هي الاخرى — تفبق
من غفوة الایام .. وحلاوة التنبق والتزويق
لكنها : شرطة المرور والحدود
أغلقت الطريق والحدود
وأصدرت تعليمية تقول :
بالحرف الواحد تقول :
لا بد ان تعود تلك القبيلة للمرقد الوثني

تفتشني في الرماد

تبحتني عن عماد
يا بهجة الأيام والعباد
تبحتني عن واحد :
يكسبك نضارة الشباب
وينزع قتامة الضباب
يعبد لك : ماء الحياة .. والرواء ..
لكنها : محاكم التفتيش والشرطة وماجورو الكلام
أصدروا تعليمية تقول :
بالحرف الواحد تقول :
ان لا دخول للذين يحملون :
بعودة الطيور والربيع .

عبد الحميد شكيل

— غناية —

تفتشني في الرماد
تبحتني عن واحد كان هنا ثم مضى ؟
يشرب أدران الليالي الموحشة
ويرسم شاراته على ملتقى الدروب
يركض .. يلهث ، يا زماني المفصوب
خلف واحة الظلال الغائبة
مضى يبحت : عن واحد يفض بكارة القبيلة
مضى يبحت : عن واحد يؤثر حياتها البديلة
ويفضح سر الليالي المخزية
ويقتل : العسس وماجوري الكلام
ويصنع الحياة من جديد

مضينا يا زماننا الاجير
مضينا .. اسرعنا في المسير
لعلنا ندرك قوافل الرحيل
لكنها : محاكم التفتيش والعذاب
والشرطة ومزورو الصكوك
أصدروا تعليمية تقول :
بالحرف الواحد تقول :
ان لا خروج للذين يحملون :
بعودة الطيور والربيع

بحت : في حقائب الصغار
بحت في ثنايا الليل والنهار
عن عبارة لم يمسها الدوار
لم يفشها زيف الكلام



الحركة الشعرية الجزائرية الشابة

بقلم: محمد زنتيلي

لمسار الحركة الجزائرية الشابة غيما بعد الاستقلال ، حتى يتمكن الغاريء أينما كان من التعرف على حركة الأدباء الشباب في جزء من وطننا العربي الكبير ، ليحدث اللقاء والتعرف ، والاستفادة من التجارب الجديدة ، وفي ذات الوقت كشف إمكانيات ومطامات الإنسان العربي الجديد .

لماذا الحركة الشعرية الجزائرية الشابة ؟

لعل سائلا يطرح هذا السؤال ، وباختصار شديد نجيب :

مشكل رقم ١ :

هناك مشكل رئيسي يعترض كل من أراد الكتابة في موضوع الحركة الأدبية الشابة في الجزائر يتمثل في انعدام المراجع التي يستطيع الاعتماد عليها ، فمعظم نتاجات الأدباء الشباب مازال موزعة في المجلات والمصحف سواء ما يصدر منها في الجزائر أو الوطن العربي عموما .

لكن بالرغم من ذلك ساحاول في هذا المدخل ان ارسم اشارات على الطريق ، وأن أبين الخطوط العريضة

السبعينات من هذا القرن — مع الإشارة الى بعض البدايات الشعرية لكثيرين منهم — وينطبق هذا المعيار ، أو هذا التحديد الزمني على كثير من الحركات الادبية في معظم البلاد العربية والعالم .

مميزات هذه الحركة :

تتمتاز حركة الشعراء الشباب في الجزائر بمميزات عديدة تميزها عن جيل الرواد (محمد العيد آل خليفة ، مفدي زكريا ، محمد أبو القاسم خمار ، سعد الله ابو القاسم ...) وأهم هذه المميزات :

أولا : الحداثة — ونقصد بها جانبي الشكل والمضمون .
فالحركة الشعرية الشبابية وحدها التي استطاعت أن توأكب حركة الادباء الشباب في الوطن العربي ، وأن تضيف إليها . كما أنها تكتسب من أن تشكل رافدا جديدا للحركة الشعرية العربية الحديثة (رزاق عبد العالي ، عمار أبو الدهان ، أحمد حمدي ، عمر ازراج ، ادريس بو ذبية ، عبيد الحيد شكيل ، حري بحري ، حديبي مسعود ، ... وغيرهم) . وأن الصراع القائم بين الادباء الشباب والرواد أساسه الانتهاء الإيديولوجي ، أي المضمون أو المطروحات التي تتضمنها قصائد كل من الطرفين ، والفضائل التي يدافع كل طرف لأجلها ويعتقد أنها أساسية في مرحلة البناء الوطني الشبابية . وإذا قلنا أن الحداثة بشقيها « الشكل والمضمون » هي الميزة التي تلمع شعر الشباب في الجزائر فهذا لا ينفي وجود شعراء شباب يكتبون قصائدهم على الطريقة الخليلية ، وآخر من يمثل هذا التيار (مصطفي الغماري ، ابن رقتان محمد) . لكن الملاحظ من طرف النقاد أن مستوى الطرح في هذه القصائد العمودية لا زال حبيس الرؤية التقليدية للامور ، وتسيطر عليه النظرة السلطوية ، كما تنعكس الرؤية الثورية . ولعل هذا يؤكد لنا مدى الارتباط القوي بين الشكل والمضمون .

ثانيا : التطور — وهي السمة التي تلمع هذه الحركة ، ويقصد به البحث المستمر عن الاشكال والرؤى الأكثر ملائمة للتعبير عن طبيعة المرحلة التي تعيشها البلاد وعن الموضوع المطروح .

ثالثا : الالتصاق القوي بالارض والثورة — وهذه السمة موجودة أيضا لدى شعراء الجيل السابق ، لكن الاختلاف بسيط جدا وهو أن الجيل السابق عاش الثورة التحريرية ومارسها ، وعبر عنها صادقا . والجيل الشاب يعيش ثورة التحرر الاقتصادي

١ — لأن الحركة الشعرية الجزائرية الشبابية أكثر التحاما وأصدق تعبيراً عن طبيعة المرحلة ، أي عن مهام مرحلة البناء الوطني ، وعن القضايا التحريرية في الوطن العربي والعالم ، ثانياً مثل أدباء الثورة التحريرية الذين عبروا وبصدق الشاعر وحرارة الثورة التي عاشوا وسط انتشارها المواتية .

٢ — لأن الدرامات التي تعرضت للبحث لهذه الحركة قليلة إن لم نطل معدومة .

٣ — لأن هذه الحركة — نتيجة لموايل مركبة — تكاد تكون مجهولة ، سواء من طرف المثقفين في الداخل أو في الوطن العربي ، واعتقادنا الغالب أنها متجاهلة لموايل متعددة كذلك تاريخية وحضارية .

ما مفهوم الحركة الشعرية الشبابية ؟

أي ما هو المعيار المتخذ كأساس للفرقة بين شاعر شاب وشاعر شيخ ؟ ويمكن أن يطرح هذا السؤال في أي بلد كان . وتمتد الإجابة عليه بخلا ضروريا يمكننا من رسم حدود الموضوع الذي اتخذناه هدفا لنا . ومن البدء أغرض معيار السن ، فليس كل شاعر كبير في العمر شاعرا كبيرا ، وكذلك ليس كل شاعر صغير في السن هو شاعر شاب دائما ، فكثيرا ما نجد شاعرين يفصلهما فارق كبير في السن ، أحدهما في الثلاثينات مثلا والآخر في الستينات ، ومع ذلك نجد الشاعر الشاب يكتب قصائد أجود من الشاعر الشيخ . ونلاحظ أن هذا المعيار إذا كان لا ينظم الشعراء صغار السن فإنه يوقعنا في خطأ يمثل في إمكانية اعتبار شاعر كبير السن شاعرا شيخا رائدا . مع أنه لم يبدأ الكتابة إلا مؤخرا . أو بدأها مبكرا ثم راح ينقطع عن ذلك ولفترات زمنية طويلة دون أن يتطور مستوى القصيدة لديه . مثل هذا الشاعر لو طبقنا عليه معيار السن لدرجناه ضمن قائمة من الشعراء لا يجب لا ينسب إليها ، فهذا المعيار إذن يفشل قضية جوهرية هي مستوى القصيدة المكتوبة .

كما أن المعيار المذهبي أو الإيديولوجي معيار مرغوف ، وإن كان يمكن الأخذ به في تقييمات عديدة . فهو في هذه الحالة يوقعنا في اشكالات لا حصر لها ويبعدنا عن الهدف .

ونعتقد أن المعيار السليم الذي يمكن اعتباره كأساس للفرقة بين شاعر وآخر هو عمر التجربة ومستوى النضج الذي وصلت اليه القصيدة عنده . لهذا فإن معيار الاجيال وحده الذي يمكننا من تحسس الطريق وإضاءة الصورة .

جيل السبعينات :

بدأ الشعراء الجزائريون الشباب الكتابة في

المشاكل التي تواجه حركة الادباء الشباب في الجزائر

ويمكن حصر أهمها فيما يلي :

- ١ - النشر بأشكاله .
- ٢ - انعدام التشجيع المادي والمعنوي .
- ٣ - انعدام النسخ الادبي الطبيعي (احتكاك الادباء ببعضهم ، الأية ، أمة الحرف واللغة ، وأمة الفكر) .
- ٤ - فقدان الموروث الادبي الجيد للانطلاق ، ولا يكتفي في نظرنا الموروث الادبي العربي لسد هذه الفجوة رغم الاستفادة المتواصلة منه ، ومن التجارب التي تظهر في العالم . وتفتح هنا قوسين لنقول أن جيل الرواد انتهى دوره من الساحة الادبية . لقد اعلنى ما عنده وانتهى .

امل :

ان لنا املا كبيرا في اديابنا الشباب كما ان لنا املا كبيرا في نمو حركتهم وريادتها على المستوى العربي وربما الدولي لانهم يطمحون بجد ويصمت . ولان هذه الحركة تنقف الى جانب الحركات الشعرية الشابة في العالم الثالث التقدمي الطابع الى رسم وجه مشرق ، هو الوجه الحلم . ولان هذه الحركة ايضا اكثر ارتباطا بواقع التحول الذي يميته انسان العالم الثالث .

شروط :

اما شروط نجاح هذه الحركة فمتمثل في القضاء على المشاكل التي تعترض سبيل عملها سيما ايجاد مناخ ادبي جديد والقضاء نهائيا على مشكل النشر ، وخلق علاقة متينة بين اقطاب الثالث الادبي المقدس (الكاتب ، القارئ ، الناقد) .

دعوة :

من أجل أن يرتقي الشاعر أينما كان الى مستوى المسؤولية ، ومن أجل أن يعبر عن موقفه بعق نوري ووضوح لا يكون على حساب المستوى الفني للقصيدة ، ومن أجل أن تكون كلمته كالسيف ، وأن يخلق له وزنا معتبرا وحضورا دائما على ساحة تقرير مصرى الانسان ومن أجل حركة ادبية عربية رائدة ادعو الجميع الى القراءة ، الى البحث الدائم ، الى التمتع ، الى التفرغ ، الى شئنا ، بالاطلاع على الثقافات الانسانية ، فالقراءة هي الوسيلة الوحيدة التي تفتح امام الانسان عوامل المستقبل على مصراعيها ، علينا أن نقرأ كثيرا ، وأن نكتب قليلا ، وأن وجودنا هو من أجل أن نقرأ ، ولولا القراءة لصار هذا الوجود عبثا ، كذبة كبرى .

محمد زيتلي
قسنطينة

والبناء الوطني ويساهم فيها بكل قوته وطاقاته . فالاختلاف إذن يكن في طبيعة المرحلة التي يرون بها .

العيوب :

لا شك أن عيوباً عدة لا زالت تلازم تجربة الشعراء الشباب ، وهي بالرغم من مرحلتها المحدودة ، إلا أن التفتن لها يساعد كثيراً على تفاديها وتخطيها بسرعة . ومن هذه العيوب نذكر :

- ١ - اللجوء في كثير من الأحيان الى الغفوض المغلق أو التعقيم .
- ٢ - أن الصورة الشعرية تبيل الى اللاموضوح ، رغم الوضوح المشرق لاهال وطموحات الانسان الجزائري .
- ٣ - سلطة المضمون غير الجيد على الشكل الفني للقصيدة . ونعتقد أن من اسباب هذا السقوط الجري وراء المناصب ، والترديد الحرفي اللاواعي للشعارات السياسية دون أن يبذلوا محاولة للتعمق في الفهم .
- ٤ - ضعف الخلفية الفكرية ، أو المحصلة الثقافية لبعضهم ، مما يفقدهم عمق الطرح بوعي جيد من جهة ، ومن جهة ثانية يشلهم عن التطور السريع .

هجوم هذه الحركة

اي ما هي القضايا التي تروق اديابنا الشباب والتي يطرحونها في تصادهم ؟

من البدء نبادر الى القول بأن اديابنا الشباب عموما ملتزمون ، وأن المتتبع لما ينشرونه هنا وهناك قد لاحظ ارتباطهم الوثيق بالثورة وبهمام المرحلة الانتقالية التي تمر بها البلاد نحو مجتمع اشتراكي ننعلم فيه الجوع والظلم والتخلف . لانهم يكتبون عن الانسان الجزائري الجديد ، انسان البناء والتشييد . ولو قلنا ان الغزل يكاد يختفي من شعرنا الشباب ، لتبين لنا الى حد ما - مدى التحامهم بالثورة . لقد انصهرت ذواتهم الفردانية بالذات الجماعية . ان المرأة في تصادهم تبدأ امرأة ، كائنا جيلنا ، الا انها لا تكاد تشكل للقارئ في شكل الوطن . ان الوطن هو الحببية التي يحلم الجميع باسعادها ، والبلد والعطاء المتواصل للوصول الى تلك السعادة . إذن يمكننا القول ان الادباء الشباب فسي الجزائر قد ادركوا المسؤولية الملقاة على عاتقهم مثلما ادركوا اداهاها باؤامهم من قبلهم . لقد ادركوا حق الادراك ان دورهم في هذه المرحلة بالذات التي يرون بها يتجلى في الالتزام بقضايا التحول الى الاشتراكية لمائدة القوى الثورية في البلاد وبنفاتها المختلفة .

الوقوف أمام الجنازة

سفينة سوف ترسو على بعض أرصفة لم تؤم
لتفتال ربانها في التقاء البحار برمل الشواطئ •
كاغنية حولتها شفاء المساكين قبلة في الشوارع ••
ليست نهايتها في البداية •
وليست بدايتها في النهاية •
تجئين في آخر السطر كي تختفي جملة الشرط •••
ثم تفبين عن بالنا في صدى جبل حذفتها
الرقابة • •
وحين نحاول أن نستحم بحبك في لحظة الاضطرار
نودع أحبابنا بالمناويل ••

يكبر في القلب حزن عميق
ويرحل عنا الرفاق ، ويأتي
رفاق !

* * *

أعنيك أهدي القنائد : www.Beta.Sakhr.it.com

من أين أدخل ؟
كل الشبايك مغلقة والنوافذ مفتوحة
للذي يستحي أن يقول :
مشيت أمام الجنازة •
سابقك جرحا على الصدر ،
حين أضبك أثناء كل حضور ،
وكل غياب ،
اجمع فيك بقية ما خبأته المدينة للفقراء •
* * *

اراهن أن الغياب حضور
وأنت حاضرة في الغياب
وغائبة في الحضور
وأثناء كل غياب نسجل دوما حضورك
وأثناء كل حضور نسجل دوما غيابك •

اراهن أن الغياب حضور
وأنت حاضرة في الغياب
وغائبة في الحضور •
وأنت ما بين ذاكرتي والمدينة
تعدبن وقع خطاها على الطرقات ،
ولا تفقين أمام الدوانيت و « المخبرات » •• ،
لأن الملابس أرصفة ، والديار شوارع ،
والخبز منفسى •
وأن الوقوف أمام الجنازة
مريثة الشهداء •

* * *

تدين أيديك للفقراء موشحة بفبار السنين الثقيلة
وهم : يجلسون وراء المكاتب ، يختصرون الأكاديب
ما بين عطة شهر ، وعطة صيف •
* * *

ضعي الآن حرف النداء
أمام جموع المساكين والفقراء
فإن مدينتنا ليس فيها غريب ولكننا الفقراء !
وقولي لمن يتسكع من « ساحة الشهداء »
« لاول ماي » :
قرانا كبيرة
وأكبر منها قلوب الإحبة إذ تتعانق فيها
وجوه الرفاق •
* * *

لكي لا نسجل اسمائنا ونسافر
خزينا اليك
فكل الوجوه على القلب تأخذ شكل الذي غاب
أثناء تشييع وجهك كيلا يراك
تمرير نحو موايي أخرى •
* * *

دينما وضع أول خطوة في هذا
الحي استقبلته الميون المترصدة ،
وتلقته بسرعة مذهشة ، كآلة
فوتوغرافيا ، أو كجهاز للرصد .

بحلق بعينين حاجزتين ، التكتلات
البشرية التي كانت تلتصق بالجدران ،
وقد عثفت الشمس في أجسامهم ،
بدت له أن الكتلة الأولى شرذمة من
الناس تمثل اطلال الحي وخرائبه .
ثم انتقل ببصره الى الكتلة الثانية
التي كانت هي الاخرى تستند الى
الحائط متوقفة في تكاسل ، بينما
كانت الكتلة الثالثة لا يستقر لها
قرار ، تجوب كل الاركان محدثة
هرجا وضجيجا ثم انشأت ترعق
وتصرخ كأنها ترحب بقدومه بينما
لاذت الكتلتان الاخرتان بالصمت .
كانت هذه الكتلة الاخيرة تمثل مجموعة
من الاولاد . ضج المكان . مد اصبعيه
الى اذنيه يقي صخبهم خوفاً ممن
الصم . استهروا في صراخهم بلا
اكرات وهم يقولون :

— الاولى عسل ..

داخل البيوت هزلت النسوة
الى الابواب والنوافذ المظلة على
الازقة ، وهن يزحمن ويتضاربن
بالمناكب والارجل على المشاهدة .
تكثر هذه المشادات بالخصوص اذا
حل قادم جديد . فيذب الاضطراب
بينهن . كل واحدة تزيد الاستحواذ
على المنظر لتشبع مرآها الشره .

زاغت عيناه وهو يجبل بنظره في
كل الاركان . يتابع الهمهمات المنبعثة
من وراء الابواب وخصاص النوافذ .
راح يتخيل اشكالهن وجمالهن . وهو
يدور براسه بينا وشمالا ، متوجسا
كالحصان الجاغل الذي دخل حلبة
السباق لأول مرة .

ارتسمت علامة الدهشة على
مديه . دب التساؤل الى قلبه .
برقت عيناه كأنه اكتشف جزيرة لم



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

قصّة المشيع

أحمد بودشيّة

بمّام

يتوصل احد الى اكتشافها ، او يدرك
كنهها . صرخ داخل نفسه :
— لقد اكتشفت .. ؟
انجست الكلمات داخل فيه .
وابت ان تخرج . بيد ان شففيه قد
اهتزتا كأنهما توردان الافصاح عما
يجيش في نفسه .

الاولاد ما يزالون يصرخون .
طقطقت كرة من الطين فوق ام
راسه . ثم اعقبها طقطقات اخرى .
احدث صوتا شبيها بنقرات الماء
على الصفح . تحسس بأنامله
النطقة المسووعة . بدا له ان السدم
قد انجس منها . رنا الى انامله التي
عادت من المنطقة المكتوية بتقريها .
تفحصها فوجدها بضة لم تلطخ بالدم
.. غير انه شعر بالـم .

ارسل النظر الى اركان الحصى
الموحد ، يقش عن ضاربه . لكن
عينيه اصطدنا بعيون الجماعات
والكتلات البشرية التي انبرت تتابع
تحركاتها باهتمام . تبادى الاولاد في
الدوران والزريق . انسل واحد من
اهالي الحصى . تقدم منه . ثم زار
بصوت اجش ، تصدعت له الاركان .

— ارحلوا يا اولاد الذباب ..
تابع بعينيه الفائزتين تقفقر الاولاد
الى الزواء في انكسار . حمل راسه
وهو يشرب به باحنا عن غايته .
فتبعته الكتل البشرية بعيونها . طوح
براسه فوق صدره ونفخ في يأس .
عين تبحت .. ؟

قال الرجل ذلك وهو يتابع اهتزاز
رجليه .

اضطرب في ذهول ولم يجب .
— قلت عين تبحت .. ؟
اهتزت قدماه . حاول ان يقول
شيئا ، غير ان بكاء وعويلا كسرا
الصوت . خرج نغش محصلا على
الاكتاف من احد البيوت شغل الرجل
عن طلب الاجابة . مرت برهة قصيرة
وعاد الرجل يسال :
— عين تبحت .. ؟

ارتبك . ثم قال وهو يتابع النغش
بعينه :

— من الجنازة .. ؟
— لامرأة قتلت ..
— قتلت ؟ من قتلها ؟
— قتلت نفسها .
— لم .. ؟
— لانها خائنة .
— خانت من .. ؟
— زوجها .
— اتخون زوجها وتقتل نفسها .. ؟
— هذا عرف الحصى .

مضى وراء الجنازة . ثم تبعته
جماعات الحصى في خمول .

عند مروه الحصى للجرة الثانية ،
كانت اجهزة الرصد تترقبه كالكرة
الاولى . تلتفت به بسرعة . غير ان هذه
المررة قد بدت أنها الفتحة . لم يعد
غريبا عنها . بيد ان علامة تعجب قد
ارتسمت على الوجوه كالكرة الاولى
او اكثر .

اما كانت الزيارة الاولى قد بدت
أقل غريبة من الثانية فلان في الاولى
قد غنروا على مبرر انقذه عندهم
اعتقدوا انه قريب المتوفاة ، جاء
يشيع جنازتها . وغسروا مجيئه في
اعقاب المرأة بأنها صدفه . لكن ..
بم يبررون قدومه للمررة الثانية . ؟
واقطعها الحصى في اعقاب نفس المرأة ؟
هل هي الصدفه . ؟ .

طبعيا لقد صدرت تحركات كالكرة
السابقة ، وندت هيسات وههيات
من وراء الابواب والنوافذ . وشعر
بتبادل التكتلات البشرية التي ابت ان
تتفرق التصادقا للجردان ، كأنها
خائفة عليها من السقوط . وايقن ان
في صدر هؤلاء الناس حسرة ونكدا
بسبب حلوله للمررة الثانية كأنه دخل
بلدا بلا جواز سفر وعن طريق غير
قانوني . اذ سبق لهم ان ضبطوه
مطلبسا من قبل بنفس السبب .

لكن .. انها تدعوه . لقد ابتسمت
له . وفسر هذا الابتسام في قاموسه
طبعيا انه شبه دعوة ، وعليه ان
يتبعها ، ويستدعوه متى اقترب من
بيتها دعوة رسمية .

اشمأز . ونفخ بقوة عندها لمح
سريا من ذباب الروث قد هرول
اليه . تحلقت به كوكبة الاولاد كالكرة
التي سبقت ، انشأوا بدورون به .
كانهم كلاب مسعورة تحرم حـوول
الجيف . شوشت عليه الرؤيا ،
وهو يصرخون بلا كلل .
— الثانية بصل ..
ندت منه شبه صرخة مكبوتة فلتت
منه بلا مراقبة .

— كفوا .. كفوا يا اولاد الجيفة .

ضبط على نبرات الكلمة الاخيرة .
رنا الى الجماعات المتوقفة . حاول
أن يقتصبها في المهد ولا يدعها تفلت
منه . لكنها تهردت عليه واندلقت في
اذان الجماعة القريبة منه . تطلع
اليها ليجس نبض مفعولها في نفوسهم
.. انظر رد الفعل الذي يسجل عليه
متعجب بلا شك .

انتظر ان يشذ واحد منهم ليصفعه
او يوبخه على هذه الكلمة ، او
يخلصه من برائن هذه الكلاب
المسعورة التي ضربت من حوله
حصارا ، كأنه حيال حراس الحدود .
فتش بعينه عنها فلم يعثر عليها .

الاولاد ما يزالون يصرخون . وهم
يعوون كالذباب . شعر بدوار يشل
راسه . نظر الى رجله المقبوستين
في بركة من الماء القذر . أرجل الأطفال
تخط على الارض كأنها سنايك
احصنة الفائز . تطلخت رجلا
سرواله الابيض الفاقع ، استحبال
الى شبه متعدد الألوان . انداحت
بقع من الطين عليه .

الشرمة المخادقة له لم تتحرك .
بيد ان جماعة اخرى كانت بالقرب منها

تجلسي القرفصاء ، قد نذت عن أحدهم
كلية :

— هذا آخر الزمان ..

قال آخر :

— نحن في قرن ..

قاطعه ثالث :

— الفناء ..

تطلوا يرمقون بعضهم بعضا ،
بنظرات شزراء . بدا عليهم الخوف
والتوجس من شيء ما . ثم هجسوا
ابواب ونوافذ بيوتهم . لعلمهم بضبطون
حريمهم يسترقن النظر الى الشارع .
الكل كان يدرك جيدا انه لا يخاف هذا
العدو الميائس الذي اتى غازيا دون
ان يكثر لهم او يكلف نفسه مشقة
اخفاء نفسه . لكن ، اخوف ما
يخافون ، هي انفسهم . فكثرا ما
يشذ واحد منهم ويفتقن مثل هذه
الفرص ليقتضي وطزه ، وبالأخص
في مثل هذه الظروف التي يكون فيها
الجميع مثلهم بالقادم الجديد .

نذت عنهم تحركات . وطققت
الحجارة على الابواب . كل ينذر
زوجه او اخته وكل افراد عائلته من
النساء ان يلتزم الحدود .
— « خوك .. خوك لا يفر
صاحبك » .

استدارت الرؤوس الى المتحدث .
وهو يمصص شففيه ويتخضض .
ثم تطلوا الى الشيع الذي لا يزال
ينفرز برجليه في البركة . الفوا لمان
حذائه قد انطفأ وخسد .
يحيطون به وهم يرددون :
— الثانية بصل ..

برقت المرأة الى الشارع تصحبها
امراة ثانية بلقعة بملءة سوداء .
سارتا نخبان . تبعتهما الميئون .
برقت عينا الشيع ، وهما يتبعانها
محترقة شوقا باللاق بها . تطلعت
اليه ثم رسبت على ثفرها شبه
ابتسامه وهي تبر به . استقبلها
فرحا . غير انه انمعض من هذه

القضبان الادمية التي تكبله . ففر
فاه في شبه ابتسامه فاندلق لسانه
بين قواطعه . مرق من وسط الحلقة
فانفلقت الحلقة ، وتبعثرت حباتها
كالعقد .

شحذت الجعاجة نفسها وتهيات ان
تفعل شيئا . احصت عددها وعدتها .
اجتمع اصحاب العقد والحل .
وتخضض اجتماعهم عن :
— نصب الفخ .
توقعت الجعاعات وعاد الحي الى
سيرته الاولى في شبه هدوء وسكون
.. بدت علامة الرضا على الوجوه
عما تخضض عنه اجتماعهم . بيد ان
سحبا كثيفة بدات تغزو صفحة
السماء اللزوردية . منذرة بقصف
الرعود ، وهبوب المواصل ،
وسقوط المطر .

اذن يؤذن منهم :
الثالثة يقع ..
اشرايت الاعناق . وتطلعت الى
اول القارح الموحل . عيونهم اللولبية
تسترق النظر الى الابواب والنوافذ
هل كالمالال ، وهو يتبعها ، فتخاله
طفلا يحمل ذيل المروسي . وهي
تنوس بجسدها اللدن . يتقدمها
صدرها الكاعب . ووجهها يبرق
بفتاويل كثيرة . راح يلهث من ورائها
في مشية كاريكاتورية ، تحسبها
(شارلي شابلن) في احدى تمثيلياته
الهزلية . تراقبه من حين لآخر من
فوق كتفها . منحته اكثر من بسمه ،
لقد حذنته هذه المرة ، وهو كعادته
يفسر هذه البسمات والتحيات بانها
دعوة رسمية مباثمة ما في ذلك من
شك .

تلبلت الجماعات المستندة الى
الجدران ، تميزت غضبا وغيظا
وهو يتقدم الحي في وضع النهار ،
بلا رادع او وازع ، ولثالث مرة .
لقد حفظت الميئون صورته جيدا .
وامسوا يتوجسون قدومه .

شك .. شك .. شك ..

اعلنت حالة الحرب .

انطلقت كوكبة الاولاد نحوه ككل
لقاء . تحلقوا به لثالث مرة وهم لا
يكتون عن الصراخ والزعيق :
— الثالثة يقع ..

تبرم منهم . نخضهم بريقه المتطاير
من فيه وهو يزار :

— كفوا يا اولاد الجيفة ..

انطلقت الكلمات من فيه كحسم
البركان مضطوة في تشنج . لم
يخش هذه المرة احدا . قلب النظر
في الجماعات التي كانت تتبلبل كان
اجسامهم تنشوي فوق السفود .
وقف فوق رؤوس اصابع برجليه
لكي يتابع صадبته في اي باب تدلف
لكن الرؤيا احتجبت عنه . لم يربق
دخولها .

نفخ بفرقة قوية :

— لقد ضاعت يا اولاد ال ..

رحلت التكتلات البشرية التي كانت
تتوقع لصق الحائط . وهاجرت
امكانها . فاستبشرت خيرا . اما
الاطفال فانهم تهادوا في زيقهم غير
مبالين به ولا بالتطورات الاخيرة .
كونوا قطارا في شبه حلقة وهو يدور
ويرسل صفيره . سرعان ما انفكت
عرباته . وابعدوا عنه من تلقاء
انفسهم .

انشأ يلتفت في كل الجهات بعدما
خمدت الاراض التي كانت ترتج تحت
قدميه من شدة ضربات الرجل كانها
ارجل فصيلة من الجيش تؤدي
تدريباتها العسكرية .

راح يربق كل الابواب ويهتر لكل
صير . يدغم النظر الى بعض الابواب
التي يشك انها تاختلتا .

فجأة دق قلبه وارسل وجيبا .
مرق غراب من أحد الابواب الى
الشارع ملفعا بملءة سوداء ازدادت
ضربات قلبه بقوة وبعمق . تاهب .
وقرر الا يترك الفرصة تضيع .
وقفت بعدما خطت عدة خطوات .
استدارت اليه ، ثم مالت ذات الميئون
وذات الشمال ، هزت راسها كمن

تردد قليلا ، ثم لحق بها . توغل
في أعقابها الازقة التي أخذت تميل
يميناً وشمالاً . تتسع حيناً وتضيق
أحياناً . تسارعت لهوائه . أحس
بقلبه يضعف ، وبحلقه يجف . شعر
بخور يدي قدميه .

توقفت . فلها الظلام الدامس .
 خر عند قدميها . مد يده الى ساقها
 يتشبث بها . ويجس نبضها ثم
 ارسل نظره الى مديها المبرقع .
 قال بصوت منقطع :
 — .. لم هذا الذ .. التعب .. ؟
 ..
 — تعبت ..

دنا منها . اعتد براحته على
ركبتها محاولا الالتصاق بها وهو
ببصيص . جدت في مكانها . لم تحن
منها أية التفاتة ..
سبح بخياله . برقت عيناه .
تهللت أسارير وجهه . مال عليها
هايسا :
— كم . كم تريدن . هه ..

* * *
 خرائط عند قدميها • أهدت
 يداه تعبت بساقيها • لكنها ابتعدت
 بهما • حمل وجهه ويحلق في مفاعله
 المبرقع • وهمين :
 أنت • أنت • ماذا تريدن ؟

 لانت بالصمت ..

هوت عليه كف غليظة بصفعة
على خده • ترنج بجذعه في الهواء •
برق وميض اماء عينية • تحسنى
مكان الصفعة • شفت بد بالتزيت
على المكان المسروع • وامتدت اليد
الثانية تنام مهمتها •

احمد بودشيثة
قسطنطينة



أحب
أصدقائي

حضور



شعر
محمد طائب محمد

http://Archivebeta.Sakhr.it.com

في أعاليك ، كل القرى الباردات ..
الصنوبر مرتفع للأعلى ، تباغته
مسحب ورياح ..
.. فأشجار هذا الخريف نواح ..
.. وحين التقينا على الصمت ،
لم يك ماضيك يسبح لي ،
بهوالة القول بالدهشة البكر ..
.. كنا التقينا ،
ولم يتغير سوى
أن وجهك يبهرني ،
وسوى أن هذي البقاع مواصلة
للتناسي ، واحزاننا
سحب تدافع ، تحملنا للاقاصي التي
لا تقول لداخلها ، من تكون ؟ .. ولا
يسأل المنسكع عن وجهته .
كنت أوشكت أن تسأليني عن
ياضي المليلد ، عن
أصدقائي ، .. من احترقوا ،
في اللهب ، ومن لم يموتوا .. وهل انني
هارب من مواصلة السير .. أو انني
انكسر للامس ..
.. اقرا في وجهك الدمع ..
.. لن ياغل النجم ..
.. هذي سمواننا تفتلي بالنجوم ..
وهانت ،
وجهك أبهى .. وصوتك اشجى ،
وعيناك تغتربان مع الحلم ..
لكن برق الدياجي ،
.. خلب ..
سوف لن تطر الان .. لا تنشجي
فالتشيع يعذبني ..
اهدني الان ،

نامي على كنفني ، ..
ومدي التواصل بيني وبينك ،
زفي قلبي الحياة .

* * *

آه .. كم انت موحشة !!
آه .. كم يجهل البحر مخنته ..
كم اجوس اقاويك دون اهتداء !!
وانت تشيخين ، كل الذين عرفتهمو ذهبوا ،
ومقاهيك تفتح ابوابها ،
في الصباح لتستقبل العابرين ..
.. وهذا التقوض ليس لعيني شيئا ،
لكل الذين يرون ...
الشوارع شقت حديثا ، لتحل اعمارنا ،
وبداياتنا .. وحكاياتنا الماضية ..
اكون غريبا ، ليسالني نادل :
اعجبك المدينة ؟ ..

.. آه .. كم انت موحشة ،
كل اشجارك استنفذت عمرها ،
واستحالت هياكل ينخر في جذعها الموت ،
تبدن كالمدين الاثرية ،
عند الظهرة ، مهجورة ..
ترتعين الفبار .
اترى انتقل التهر يبدت عن عاشقة ،
تاركا للسواقي الجفاف ..
الخليل استحالت هياكل ،
يعصف في سعفها الموت .. لكننا
حين ياتي المساء ،
وتضطرب الكاس بين الاصابع ،
نبتع ماضيك ..
.. لكنه مومياء .

* * *

كنت تستمعين ، وتبكين ، ..
ان البكاء يعذبني ..
وسديني .. ابعتي وطني نجمة
فوق هذي البقاع .. انا ..
لم اقل بالقطعة .. انت اهتامي ،
وفيك سابعث غف الجمال ،
وغف التصور .. والخلق ..
غف العناق .. التوحد ..
غف الرحيل ..
وسديني .. نري جسدي
حقل نار ..
يعذبني الدمع ..
.. ان السفائن تنتظر الريح ..
والنائه النجم .. والبائس الوهم
والحقل ينتظر المطرا .

* * *

حقلا يسقط النجم ،
تاتي سيلوف التوجع تفك بي ..
هل تغادر هذي الاقاصي ؟ ..
كني عن الدمع
انوار كل الفنارات تهتف بي ..
والمواصف تهتف بي ..
سوف انهل حتما ،
وتصبح كل الامور ضبابية ..
تختفين ..
.. يخلفني الليل للوحدة الباردة ..

محمد طالب محمد
— قسنطينة —



حتى العصافير أعلنت الحداد

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

بمعلم :
خلف بشير

اخيرا لترتني على الحاشية .. فقدت
النبرة شكلها الاصلي .. تعودت
الانتظار هذا السقوط .. تبلد
الاحساس والشعور .. التفوا حول
بعضهم في حلقة مكثفة ، اشرابت من
بينها الاعناق ، بصق احدهم على
الارض بعدما انفلتت من الحلقة ،
معلقا :

— هه .. ارانب تلد ، ولقي

من سريره مبرضة تفرقع العلكة
منتشبة ، في حوار هاديء روماني
مع مهرش يملوفان دنيا الاحلام .
لم يكن حادث وفاة ابراهيم الطفل
مفاجئا ، فالذين شاعدهوه وهو يلقي
ينزف دهايفزارة على حاشية الطريق ،
ثمرة ناضجة .. طرية .. ريانة ..
سقطت من الشجرة فوق مخضرة
صلدة ، وبفعل قوة السقوط وثبت

بالابس مات ابراهيم .. ودع هذه
الدنيا .. دون ان يئس بكلمة واحدة
.. دون ان ينطق بحرف واحد ، هوى
كما تهوي ذرة غبار من الاعالي على
اديسم الارض ، لفظ انفاسه في
المستشفى خلال الليل ، فالساعة
والدقيقة مجهولتان ، اذ ان الممرض
المنسوب اعلن : انه توفي خلال الليل ..
رحل الى العالم الآخر ، وغير بعيد

بصغارها على قارعة الطريق .
وافته آخر بإشارة من راسه .
اندفع ثالث مقتعما الجمع ببنيبيه
صارخا :
— لنخط خطوطا تحدد مساحة
الضحية .

— لا يارجال .. لنقم بعمل أسرع ،
أراه مفيدا في هذه اللحظة .. ما
قولكم في البحث عن ولية .
رفع أحد الشيوخ راسه الى
السما وتيم : « الله يلهم هذا
الزبان » . شكلت خيوط جهراء
متدفقة من الضحية مساحات ذات
اشكال هندسية غير منتظمة .. عينان
شاخصتان الى الفضاء .. انزعاج
منهما اللون الاسود .. تاركا الحرية
للون الابيض ، كي يحتل مساحة
العين .. ثم تبددت الاطراف مرتخية
شيئا فشيئا .. دنا أحد الحاضرين من
الضحية .. وضع اذنه على الصدر ،
هتف بارتباك :

— انفاسه ضعيفة يا ناس ، لا
يزال بإمكاننا انقاذه ، لكن .. لكن ،
كيف العمل ؟
— لنقترب رجال التحقيق ، فوجود
الضحية في مكانها سيساعد على
معرفة الحقيقة ..

.. اندفع شيخ مقصاب ، بقوة
الشباب .. بعزيمة الفتوة .. فانحا
لنفسه طريقا .. انحنى ليلف
واحتضن الضحية وانطلق بها على
الطريق يبعده .. وسريعا ما لحقت به
سيارة ، ابتلعته بحمله .. وغابت
عن الانظار .

— بجسم حط الكبير عليه ككله
المرعب .. صيره شبه انسان ..
تتردد في داخله انفاس ضعيفة واهنة
.. يثلب يثقب بجنون صعقتهم
الصميدة .. لم يدر ما حدث بالضبط
.. عبارة واحدة التقلتها اذناه ، فاه
بها جاره منذ لحظات حينما اطل من
الباب :
— جمع كبير من الناس تجمعوا
قبل لحظات .. قيل ان سيارة تجري

بسرعة جنوبية دهست طفلا غسي
السادسة من عيره .. المسائق لم
يعثر عليه بعد .. والسيارة واقفة
هناك ، وداخلها تفني كوكب الشرق .
اندفع اثناءها كالبرق الخاطف ..
صوب المكان .. خيوط كثيفة من سائل
احمر ضخمت المادة السوداء .. كان
الكل على جانبي الطريق بعيدين ..
عيون شاخصة ، واخرى تسير الى
مكان الحادث .. بعض الرجال
غابوا في حوار ساخن يوزعون الجرم
الفضيع .. اطل من متعلف الشارع ،
لم يتنح الموقف لديه بعد .. رشتته
الاطار جميعها .. اثخنه جراحا ..
كاد ان يسقط .. استند الى جذع
شجرة جانب الطريق .. اقترب من
احدهم ، ثم ما لبث ان خاطبه بصوت
ترتد نبراته :

— ماذا حدث قبل لحظات هنا ؟
حركة غير عادية تبدو لي ..
.. ..
— ارجوك ، افسح ، اني لعل
استعداد ان اصفي اليك بشجاعة
ومسير .. اعتبار لهذه الاثبات
الموجبة الي .. والمساك التي
تعالني .. تقبل ما حدثت بغير وجه
يقول لي :

— ان مكروها يمشي قريبا لي ،
اليس كذلك ؟
— بلى ، يا مجيد .. مجرد حادث
بسيط جدا ، اصيب به ابنتكم ابراهيم ،
حينما كان يقطع الطريق .. احتكاك
بسيط بسيارة قادمة من الجهة
الشمالية .. استقلته ارضا ..
مجرد سقوط .. الواقع حالته لاتدعو
للخوف .. اسرع به لتلقي الاسعافات
الضرورية ..

— مساء الخير يا اخي .. الم
تخسر سيارة قبل حوالي الساعة
الى هنا تحل طفلا جريحا ؟
— لا ادري بالضبط ، فكما ترى
سيارات كثيرة تدخل وتخرج في كل
دقيقة حاملة المرضى او الاطباء ..
او العمال .. او .. او ..

— لكلك بالباب على علم بكل شيء ..
— يا سيدي ، اتصحك بالتوغل
داخل المستشفى ، ولستاك بذلك ..
مرت الثواني والدقائق .. وشرع
الليل يريخ سدوله على الكون ..
في الافق البعيد من ناحية الغرب
تشكلت مساحات جهراء وصغراء
وبرتقالية بتداخلة في بعضها ..
كاشفة عن وجوه واجسام ذات هيئة
غريبة ومخيفة .. مربعة .. على
ضوء باعث لمسابيح تحضر كان يقطع
المنابر والممرات ولسانه دليله ،
كرهت اذناه الاصفاء الى جواب
سمعه للبر العاشرة :

— والله يا اخي لست ادري ..
لكني اشتر عليك بالتوجه الى قاعة
رقم واحد .
دلف الى قاعة رقم واحد .. دافعا
الباب بعنف .. سلاحه حقد تجسم
من سنوات ضد كل الابواب الحاملة
للارقام .. للكلمات .. اندفع وحش
هائج .. دخل القاعة رقم واحد للبر
الرابعة .. ما اكراه العبارة الكاذبة
الى نفسه في كل مرة : « والله يا
اخي ، والله يا اخي .. بخطوات
علاقة ، ارتعدت لها ارضية القاعة ،
قادتته الى باب تحويه حروف انضمت
الى بعضها ، والتصقت بكونه صفا
دفاعيا .. بل هجوما ضد من يجرو
على الاقتراب .. واقترب ببات ..
حادثته الحروف بنظرات قاسية
عنيفة ، لا تخلو من الايقاع به ، غير
انه تكن من الاقتحام بنجاح ، ودخل
الحصن المتين المحروس وسقط نظره
عليها ، كانت المفاجأة بذلة له ،
ولهما .. هسات رتيقة .. وانفاس
ملتصبة بلهيب النشوة واللذذة ..
والشفاء تلهم بعضها بعضا ..
واطلق الزناد لرشاش منه يطلق
ناره الحامية .. الحارقة .. المدبرة .
حتن بحقته مخدرة .. قريته من
حالاته العابدة .. اعادت الى نفسه
الحري بعضا من الطائفة التي لا
تخلو من شك وريبة :
— اطمن ، فقد تلقى الاسعافات

— صباح الخير يا محمد ..
— الاخيار ؟
— بخر ، ان شاء الله ، قيل لي
ان حالته تحسنت ..

— هل رأيته هذا الصباح ؟
— لم اره بعد .. الا ان الحارس
مطابني ..

كبرت الحلقة .. تضاعف عدد
افرادها .. توالى الاسئلة المصادرة
من هنا وهناك .. احس بدهائه يكرر
ويكرر ويتناقل وزنه .. والصداع
يقتحمه في غزوة هيجية .. كاد يسقط
.. انتصبت ضبابية كثيفة امام عينيه
.. انسدل من الحلقة ، لاحته كلمات
من الحلقة .. حرونها سهام سامة
رشتته .. اثخنه جراحا ، يخطى
متعثرة .. ابتعد بعيدا .. بعيدا ..
وحيدا ...



بوجه خزين فقد نضارته ، هجرته
نساء الفتوة ، فاجأ هول الحادث ، صمداً ،
لم يصدق ما حدث ابداً .. في ساعات
طليلة يقف وحيداً الابن الضمير الذي
رزق به بين يقات ثلاث .. في اقل

من يوم غيب من عينيه الى غيب
رجعة . لقد اشترى من اجله قطعة
ترابية وبنى عليها منزلاً لتقيم به
الاسرة حتى يتمكن ابراهيم من دخول
المدرسة والتعلم وتحقيق امينة الاب
التي حرم منها هو في طفولته ؟ ..
لم يصدق ما حدث ، جلس في ساحة
الحى يقتل التعازي ، أو هكذا ادوا
ان يقتل التعازي ، مكتفياً بتحريك
رأسه أحياناً ، فانداد الشـمـور
والاحساس بالزمان والمكان احياها
أخرى .. حركة غير عادية حوله
ايادي كثيرة امتدت اليه .. شـهـاء
تحركت .. اصدرت اصواتاً تذبذبت
بين عالم الغيب وعالم الواقع .

.. فجأة توقفت سيارة عريضة
نخبة طويلة ذات زجاج اخضر ..
تحمل رقم هوية اجنبية .. تقيات ..
ثلاثة رجال يبدو انهم من اعيان بلدة
مجاورة .. رابعهم شاب انسدل

الاولية ، وحالته على احسن ما يرام
.. لا تخش بكروها عليه .. الان
قد اقتبل الليل انصرف وطمن الاسرة ،
وغدا ان شاء الله عد .

— لكئي احس بشوق لرؤيته ..
نفسى تتحرر شوقا اليه .. اريد ان
أراه بربكم ..

— الا تنق غينا يا سيدي ؟ ثم ان
الطبيب في هذه الحالات يمنع الاتصال
بالمريض ، الا بعد اجراء الفحوص
الكاملة والتعرف على نوعية الإصابة
.. عد في الغد ، افضل .



اكتظ الحوش بالنساء قمدن من
كل احياء البلدة .. باعينهن الماكرة
يلتهن ببروكة التي كانت طورا تغيب
عن الوجود في اغواء طويلة تمسود
منها الى رشحها بعد اسعافات تقدم
لها من لدن الحاضرات ، وطورا اخر
تكون شاردة الذهن سامة وعيناها
جاحظتان .. وبين هذا الطور وذاك ،
لا تتوقف عن ترديد :

— ابراهيم ، توا كان يلعب قربي
.. ها هو الرمان احضره لي من غرفة
المؤونة .. انه لذيق وحلو مذاق
اكل منه ، وترك الباقي لي .. طلبت
منه ان يذهب الى سيدي اخني ..
سيحضر حالا كما امرته .. من غير
شك انه عائد في الطريق .. كمادته
سيطالع دروسه .. محفظته هناك
.. يا غالبة .. يا غالبة .. يا بنيتي
.. تطلمي من النافذة الى الطريق ..
راقبيه عله تادم .. قمن يا نساء ..
الليل جاء .. عدن الى منازلكن ،

أسعد الله صباحك يا محمد ،
هل اتصلت بالمستشفى هذا الصباح ؟
— نعم .. اتصلت بنفسى قبل
بزوغ الشمس ، غير اني لم امكن من
الدخول رغم محاولاتي للحراس
الليلي .. بيد ان هذا الاخير غاب
لدقائق واعلمني عقب عودته .. ان
حالة الطفل تحسنت .. ومن المحتمل
جدا موافقة الطبيب على اخراجه .

شعر طويل على قفاه .. بنهم غريب
راح يبتص من غلونه ، ومن وراء
زجاج نظارته السوداء وجه نظرات
الاحتقار نحو الجالسين ، انتصح
غيبا بعد انه عائد للتو من بلاد المهجر ،
بعد التحية وتقديم التعازي ، انفردوا
به ، بربع زواياه رجال أربعة قاثون ،
كان هو نقطة الوسط ، قال اكبرهم
وافصحهم :

— ناسف والحزن يحز نفوسنا
ويؤلم اعرق اعمقنا لما حدث ، وهذه
مهيئة الله في عباده ولا راد لها ..
الا تؤين بهذا يا سيدي ؟ المؤمن
صبور .. جئنا باسم السائق
الحاضر معنا .. بل باسم البلدة
نطلب منك العفو ايام الله اولاً ، ولا
نطلب من التنازل عن حتك المادي ، ولا
غني هذا الشأن اتينا نعرض تسوية
القضية من خلال هذه الكمية الوفيرة
من الاوراق المالية .. خذ .. انها
لك وحدك .. على الاقل تخفف من
المك .. وعلى المدى البعيد تنسيك
هول الحادث .. الله رؤوف بعباده ،
سيمعوك غيره .

— مجرد حادث فقط يا سادة ،
ابني ابراهيم كما اعلمني المرشون
بالمستشفى حالته تحسنت .. نعم
فعلا تحسنت لقد رأيته ، كان وجهه
منيرا كالبرق .. ساذهب لاني به بعد
ساعة .. سيمعود الى مدرسته
بمحفظته الجديدة التي ابتعتها له يوم
الجمعة الماضي مكافأة له على ترتيبه
الممتاز في فصله .. مجرد حوادث
بسيط .

اقترب احد الجالسين من الرجال
الاربعة وخاطبهم بلهجة لا تخلو من
عتاب وزجر :

— افني مثل هذه الظروف يا سادة
وفي هذا اليوم بالذات تاتون ..
اغربوا عن وجوهنا .



الصدمة ضد

شعر: حمدي بحري

(٣)

— من أنت ..
ماذا تفعل ؟
— اني اتسلق اعصابي
محموما بالوجد المحرق .
حبي نبع ،
ارابت الاشجار الملتفة من حولي ؟
فلماذا تقفني — يا هذا —
من ملكوت العشق ؟!

(٤)

كان الفرح الصيفي ،
يموت بعيدا في القلب
نادينك مجروحا ...
ذريت الملح على جرحي ،
وهربت على عجل ،
— من فأت ... يفوت
— وانا في الحقل اموت
كالفصن ، بعيدا
يحمل في عمق الارض الموت ،
ثم يعود :
وردا ...
او عنقود .

(١)

ها هو الفجر التازف من جرحي ،
يتبرعم في كفيك حبالا من ذهب ،
وانا في قاع البئر ، اراهن نجما ،
ان تاتي عربات النمل ، معبأة باغاني الانهار ،
المسكونة بالعشق القمحي ،
وبالازهار « التلية »
اوقفني الخيط الدموي يحاورني ،
عن اسماء الضباط ومن خاتوا .
فتسهرت ، بصمتي
ضد الصمت .

(٢)

قرا الاشعار :
الثورة للثوار .
والسنبلة الحبلى ...
لا يجهضها الصرصار .
ورماها لي ،
فرميت بقلبي في النار .

البطل
أخالد

أحمد
زبانة *

أول
طعام
وقدم
للمقصلة
في ثورة
التحرير
الجزائرية

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

محمد
الصالح
الصديق

خالدة ، وعلى الشفاء انشودة عطرة ، كالذي آثرنا على
نفسه وأهله ، فترك زوجته وأبناءه وأقاربه ، وذهب الى
المعركة ليهوت في سبيلنا ، ومن أجل أن نعيش أحرارا
سمعاء في ظل العز والكرامة ...

وأي إنسان أجدر بالتكريم والاحترام والتخليد من
هذا الذي يهب كالأعصار ، ويندفع كالقذيفة ، وينتفض
كالأسد الهصور ، عندما يرى الحق يهوي صريعا تحت
لطبات الظلم والمسف التي يكلها له الظلمة العتاة ،
والمستبدون الطغاة ، فيحارب الظلم والظالمين ، ويقاوم

ما أكثر شهداء الجزائر ، وما أروع صفحاتهم في
التاريخ ...

انهم مليون ونصف مليون شهيد ، بنى بهم الشعب
صرح حريته واستقلاله ، ومد جماجمهم وأشلأهم جسرا
الى هذا العهد الزاهر . وكل شهيد بطل .. اذ لولا
بطولته لما غارق الحياة ، وذهب الى الموت ، وارتسى
في احضانه ، وضحي بروحه من أجل وطنه ...

وليس هناك في دنيا الناس من يجب أن نتحنس
إمامه الرؤوس أجلالا وتعظيما وبحيا في القلوب ذكرى

انه شاب في مقتبل العمر ، أكثر ما عرف عنه قبل الثورة انه وطني غيور ، تعالج في نفسه عاطفة الحب لوطنه ، ويحقق قلبه حقوق الرغبة الملحة ليوم تنجلي فيه المحنة ، ويشرق فيه الفجر الوضي .

وكان أكثر كلامه تشنيداً على الاستبداد ، وزرابة على الجيود ، وتحقيراً للمستعبدين والموالين للاستعمار .

نشأ أحمد زبانة كغيره من أبناء الشعب الجزائري محروماً من جميع وسائل الحياة التي يتبع بها حتى كلاب المستعمرين ... ورأى الاجتبي البغيض يتقلب بين احسان الجزائر حراً طليقاً ، وبينم بخيراتها في زهو وخيلاء ، وهو في وطنه وبين اهله اجنبي ذليل .. تزدريه العيون ، وتستنتله النفوس ، وتستهق القلوب ، ويلفظه كل مكان يحل به ...

وكان (أحمد زبانة) منذ صباه يطرب للحديث عن الشعوب المستظنة ، وتعنصره الكتابة والحزن كلما شاهد العلم الفرنسي يرغرر على البنابات الحكومية بالجزائر ، وعلم وطنه لم يره الا مرة واحدة مصوراً في قلعة من جلد عند احد اصدياق جده ، فانتفض له انتفاضة حارّة لم ينسها ما عاش ...

وكان (زبانة) من أولئك الشباب الوطنيين الذين تغلّى دماؤهم ، وتهمز مشاعرهم كلما استمعوا قصة الاحتلال المشؤم ، وبقاومة الشعب الجزائري ، تلك القصة التي سوغها لهم معلومهم الفرنسيون بالمدارس . وكان من أولئك الذين انما من أعماقهم أن كلمة (حق) و (حريتي) و (بقائي) لا تحيا في عالم السياسة الا اذا وضع قائلوها حياتهم فيها .

وان (صوت الشعوب) لا يسع في الخارج الا اذا انطلق مع الرصاص وقنابل الماداع ...

ولا عجب فرسالة الشباب الصاعد ، العمل الجاد المنير ، والزحف الدائب الهادف ، والهزم بالاعاصير والانواء ، وشعارهم دائما (حياة في عز واممات ..)

وكان زبانة ينتظر في لهفة الظلمي المشتاق ذلك اليوم الذي يسفه فيه الشعب الجزائري اقوال المستعمرين ومزاعمهم ، وينطلق كالمارد الجبار يحطم الاغلال ويشق الطريق الى الحرية والاستقلال ...

ذلك اليوم الذي تبوء فيه نهائياً فكرة التردد والخوف في قلب كل جزائري ، والنفس — كما قالوا — اذا لم تخش الموت كانت غريزة الكفاح أولى غرائزها ..

الاستبداد والمستبدين ، ويناضل ببطولة واستقبال حتى اخر رمق من حياته ؟؟

انه الابداء في أسنى معانيه ... والبطولة في ابعاد حدودها .. والوطنية الصادقة في أعماق اغوارها ...

واذا كان هذا حال الشهيد الذي اختطفه الموت في المعركة ، بعد أن أعمل سنيه أو رشاشته في العدو ، وشلى غليله وأطفا أواره بدماء الؤاد المناجيس الذين كدروا صفو حياته ، وفرضوا عليه حياة المهانة والذل في مستوى الحضوض ، أقول اذا كان هذا حال الشهيد فكيف بهذا الذي أعد طعاباً للقصلة ، وسيق اليها لتفصل رأسه عن جسده ، وهو يعلم ذلك ، وينتظر الساعة المحددة له في دوابات من الحيرة والقلق والاضطراب ؟

ان الفرق واضح بين من يخوض المعركة ثم يسقط بين الرماح وتحت رصاص البنادق والرشاشات ومن حكم عليه بالاعدام فيساق الى الموت وهو ينتظر ... كلاهما بطل شجاع ، وكلاهما ضحى بروحه الغالية في سبيل وطنه ، الا ان بينهما فرقاً .

فالاول يقاتل وهو يأمل أن ينقصر على العدو وينجو من الموت وقد ينال تلك المعركة ترير الجف ، ويكفل الطعام شهية مفتحة ، ونفس راغبة لانه لا يتوقع ما سيحدث ...

اما الثاني ، الذي وقع اسيراً بين أيدي الاعداء ، وحكم عليه بالاعدام ، وعين له وقت التنفيذ ، فانه يعيش على أعصابه ، يعيش مضطرب اليأس ، يخوض الفؤاد ، حزين النفس ، متقيض الصدر ، ويعصف الهلع بكل ذرة من بدنه ، لانه ينتظر الساعة المحددة التي يساق فيها كالمشاة الى المذبحه !!

فاذا تلك هذا نفسه ، وسيطر على أعصابه ، واحتفظ برشه وانزانه فان ذلك — لمعري — هو غاية البطولة ، ونهاية الشجاعة ، آية بينة على المقدرة النفسية الجببية .

والشاهد أحمد زبانة اول من نفذ فيه حكم الاعداء في ثورته التحريرية ، واول من وقف امام القصلة ببطولة نادرة ملكت على الاعداء اعجابهم وجعلتهم لا يصدقون آمينهم واذانهم فيها يرون وما يسمعون ...

من هو هذا الشاب الذي انتصب امام القصلة مرفوع الرأس ، شامخ الالف ، يهز بالموت ويتحدى الفناء ؟

ولم يكد يحل اليوم الموعود يوم غرة نفايه ١٩٥٤
حتى كان زبانة على قمة الجبل بجانب المخاضات
يرسمون الخطة للأعمال الفدائية ، ومعارك التحرير ..

وإذا كان (زبانة) يتحرق منذ صباه شوقا الى
الكفاح المسلح لتحرير الوطن فانه لما تحققت الرغبة
وانظم في سلك المجاهدين الابطال تضاعفت رغبته ،
وشعر من اعماق نفسه بنوع من الحياة يظهر الموت
عنده كانه نوم ، واصبح لا يجد اللذة والراحة الا في
التعب ولا يكتفي بما يكلف به من انواع الكفاح بل كان
يحرص كل الحرص على ان يشارك في كل عملية فدائية
تتخذ في الناحية ويحضر في كل هجوم ويساهم في كل عمل .

فكانه يعلم ان حياته تلك ان تدوم اكثر من ثمانية
ايام حيث ينتقل بعدها الى حياة اخرى كلها عذاب وتكثير
واهانة ، وكلها صمود وامرار وتنحية ، فهي حياة
شاقة مريرة ولكن ليست من هذا النوع الذي هو فيه ..

فبعد ثمانية ايام فقط من اندلاع الثورة التي عليه
القبض في احدى العمليات اثر اسبابه بجروح خطيرة ،
وسبق الى السجن المدني بالجزائر حيث سلطت عليه
انواع من التعذيب بالرغم من سوء حالته الصحية ،
وجربت معه انواع مختلفة من وسائل التكثير والتعذيب
من ربط اليدين الى الوراء وثني الركبتين ثم ترك المعذب
على هذا الوضع يومين كاملين ، وتسلط النيران الكهربائية
على الايمان الحساسة في الجسم ، والاضطراب بالساء ،
حيث توضع خرقة مبللة على الانف ثم يصب الماء في الفم ،
وتدوم العملية من ساعة ونصف ساعة الى ساعتين
حتى اذا اغمي عليه يعمل الجنود على انقاذه بالكلية
البارد او بالضرب الشديد .

وبعد هذه العمليات يجبر المعذب على الدوران
بالمكان عدة مرات وهو يجر وراءه حملا ثقيلا والجلادون
يضحكون ويسخرون .. فاذا لم يقدر على ذلك ادخلوه
برميلا جعلوه سجنا للمعذبين يضمنون فيه من ستة الى
ثمانية في حصر شديد لا يطلق بحيث يتعذر على الواحد
ان ينام .

وهناك يكونون حتى يشرفوا على الهلاك ...

ولقد كان (زبانة) امام هذه الانواع من التعذيب
والنكال مثالا للصمود والصبر فما وهن وما ضعف بل ظل
يحتفظ بأسرار الثورة بقوة وامرار فلم تزل من
ايمانه وارادته ووطنيته تلك التجارب القاسية شيئا .

وبذلك اثبت زبانة لجلاديه ان المناضل الجزائري
لم يقدم على هذه الثورة الا وهو يعلم ما يلاقه من شروب
النكال والتعذيب فالطريق الى الحرية صعب عسير شاق
لا يسلكه الا من وطن نفسه على كل احتمال ...

ومن ثم فليس ايمانه الا طريقان لا ثالث لهما . اما

ان يصبر ويجالد ويقاوم ويتحمل كل ما يواجهه من شروب
العذاب وفي ذلك شرف البطولة ، ووراءه سر الانتصار ،
واما ان يضعف ويستكين ، وفي ذلك ذل الجبن ، وصغار
الاستخذاء ، وعار الهزيمة .

واختار (زبانة) طريق الصبر والتحمل ، وطريق
المقاومة والتضحية ، فالمسلم الجزائري الذي يجري في
عروقه دم عتبة وابن الوليد والامر عبد القادر ابي لا
يرضى الضيم والهوان .. يتحمل كل انواع العذاب وكل
شروب التكثير في سبيل شرفه ، ومن أجل دينه وعقيدته ،
وفي سبيل عزة وطنه وكرامته ، وشعاره دائما (المانيا
ولا الغر .. النار ولا العار) .

فلا غرو اذن ان يصمد (زبانة) للتعذيب الجهنمي
وهو الذي تصرخ في عروقه دهاء الاجداد الاشواش ،
ويؤين بالجزائر ، ويشعر بها قطعة منه ، وقد تجسمت
بين عينيه المأساة الروحية والاجتماعية والسياسية التي
يعيشها شعبه منذ الاحتلال المشؤوم .

صمد زبانة اياما وليالي لكل شروب العذاب ولما لم
يفتكوا منه سرا ولم يجدوا عنده ولو بصيصا من نور
يشي لهم طريقا ، حكموا عليه بالاعدام .

وكان المفروض ان يقع عليه النيا وقع الصاعقة ،
ويضعف به الهلع من كل جانب ، ولكنه استقبله برابطة
الجاني بوصفاة البأس ، وقوة الوجدان ، فلم ينسرب
الى نفسه ضيق ولا تخاذل .

فلترفت اذنانا ولنستمع الى هذه الرسالة التي
كتبها الى ابنته واقاربه من السجن المدني اثر سماعه
للخير ، وهي التي تكشف لنا عن شجاعته وروحته
المعنوية العالية :

اقرباي الاعزاء - امي العزيزة ..

اكتب اليكم ولست ادري ا تكون هذه الرسالة هي
الاخيرة ؟

والله وحده اعلم .

فان اصابتني مصيبة كيفها كانت فلا تيأسوا من
رحمة الله ...

انها الموت في سبيل الله حياة لا نهاية لها ...

وما الموت في سبيل الوطن الا واجب وقد
اديتم واجبكم حيث ضحيتم باعز مخلوق لديكم فلا تكوني
... بل افتخروا بي .

وفي الختام تقبلوا تحية ابن واخ كان دائما يحبك
وكتتم دائما تحيوته ، ولعلها اخر تحية مني اليكم ، وانني
اقدبها اليك يا امي واليك يا ابي والى اخوتي ، واليك

فيه حكم الاعداء ، ولكن الجلادين الفرنسيين رفضوا طلبه ولم يسمحوا له بذلك الا بعد ان تدخل محابيه لدى (الكونيل) .

ولما انتهى من صلاته وقف وقفة قصيرة في روعة الثبات والبطولة وقال :

(انني مبتجح بأن اكون اول من يصعد الى المقصلة ، فبنا او بدوننا ستحيا الجزائر) .

ولم يكذب ينتهي من هذه الكلمة حتى انطلقت حناجر المساجين الاحرار وهم يطلون من نوافذ السجن بصوت مجلجل اهتزت له ساحة بربروس وقالوا : (اننا ستبتجك الى المقصلة ، هذا لايهم فبنا او بدوننا ستحيا الجزائر حرة مستقلة) .

وامام المقصلة وفي حقل من الجلادين ساله القاضي:
الك طلبه تريدها ؟

فاجاب في سخرية وازدراء وازدهاء :

ليس من عادتنا ان نطلب ، بل من عادتنا ان ننتزع ، وستنتزع منكم حريتنا واستقلالنا ان عاجلا وان اجلا .. ثم عاد يسأله :

الا تخاف المقصلة ؟

فاجابه :

(ما انا بالذي يخاف من مقصلة أعدت منبراً لاثالي ، بل ان المقصلة ستترعد غرائصها مني بعد قليل ...)

ثم يسأله الامام :

هل لك وصية توصي بها ؟

فاجابه زبانه في لهجة هادئة مؤثرة :

(لقد كتبت املها لتسلي بالناس ، فوصيتي لك ان اكون اليوم املا لتسلي ورائي ...)

وبينما كان زبانه يصعد في درجات المقصلة التفت الى محابيه ، وطلب منه ان يبلغ امه بأن حياته سوف لا تذهب سدى ... انه لا يموت لغير شيء فهو اذن لن يموت ابدا ... وقد اهتز لهذا الشهيد البطولي الخالد ، شاعر جزائري كان من بين السجناء فتدفقت شاعريته بقصيدة مؤثرة يصف فيها هذا المنظر الرائع الرهيب ، ويتغنى ببطولة زبانه ، وشموخه بانفه وهو يصعد الى المقصلة ويقول فيها :

قام يختال كالمسيح وثيدا

يتهادى نشوان يتلو النشيدا

باسم الثغر كالملاك او كالطفل

يستقبل الصباح الجديدا

يا اخي العزيز عبد القادر ، والى جميع من يشارككم في احزانكم ...

والله اكبر وهو القائم بالقسط وحده

(ابنكم واخوكم الذي يمانتكم بكل قواه)

وقبل اعدام (زبانه) بيوم تدخل لدى الولاية العامة بالجزائر كبير الاساقفة فيها وكبير الاحبار والمفتي مطالبين بعدم تنفيذ حكم الاعداء فيه ... ولكن تدخلهم لم يجد اي نفع .

ففي صبيحة يوم ١٨ جوان من سنة ١٩٥٦ عندما كانت الوهاد تنفث مابتي فيها من ظلام الليل ، انقض الجلادون الفرنسيون على زبانه واخرجوه من زنزانه في فظاظة وقسوة وقادوه الى المقصلة .

ولم يكذبانه يتحرك من مكانه حتى شاع الخبر بين السجناء الاحرار ، فاندفعوا كالرعد القاصف يرددون نشيد بربروس :

واقصفي يا رباح

واحدتي يا قيود

ليس فينا جبان

في الشقا والهوان

لا نمل الجهاد

اعصفي يا رباح

واثنخي يا جراح

نحن قوم ابناء

قد سئمت الحياة

لا نمل الكفاح

في سبيل الله

جرعوننا النسيون

ينفخي او يهون

واشنقوا واصلبوا

نحن لا نرهب

لا نمل الجهاد

ادخلونا السجون

ليس فينا خؤون

اجلدوا وعذبوا

واحرقوا واخربوا

لا نمل الكفاح

في سبيل الله

شيدوا القبروان

بالنفوس والدماء

وارفع العلماء

لا نمل الجهاد

نحن نسل الالي

نحن نفدي الجزائر

شعبنا عش وفاخر

لا نمل الكفاح

في سبيل الله

ولما قدم زبانه الى المقصلة استقبلها بنفس قوية لا تنزعزع ، وارادة صابدة لا تخور ، فكانت له املاها مواقف رائدة ستمثل في تاريخ الجزائر توحى بالعبر وتطعم الدروس ، وتثير النخوة والاعتزاز .

سال الجلادين ان يرخسوا له في اداء ركعتين اقتداء بالمحابي الجليل خبيب بن عدي الانصاري من اوائل شهداء المسلمين الذي صلى ركعتين قبل ان ينذ

شامخا انفه جللا وتيها
رافعا راسه يناجي الخلودا
رافلا في خلاخل زغربت تما
من لحنها الفضاء البعيدا
وامنطى مذبج البطولة معراجا
ووافى السماء يرجو المزيدا
وتعالى مثل المؤذن يتلو
كلمات الهدى ويدعو الرقودا
صرخة ترجف الموالم منها
ونداء مضى يهز الوجودا
اشنقوني فلست اخشى حبالا
واصلبوني ، فلست اخشى الحديد
وامثل سافرا محياك جللا
دي ، ولا نلتئم فلست حقودا
واقض يا موت فيما انت قاض
انا راض ان عاش شعبي سعيدا
انا ان مت ، فالجزائر تديبا
حرة مستقلة ، لن تبيدا

ذلكم هو احمد زياته في حبه لوطنه ، وفي بطولته
وشجاعته ، وفي مواقفه التاريخية الخالدة التي يستظل
تذكي في كل قلب جذوة وتثير في كل نفس نخوة ، وتعلن
للورى (ان البطولة من مدد القلب والايهان) من عهد
الجيش وضخامة المتاد ... وان من اشرف الصفات
التي سجلها التاريخ في العصر الحاضر ، لهي صفات
البطولة والتضحية في الجزائر .

محمد الصالح الصديق



اصوات حركت معترك الحياة

— قراءة :

اقرا في وجهك المطلي بالتراب
قصيدة اغترابي
عيناى تنقش في عينيك
خرائط الزمن المخصاب
آه لو اكون
وشما في معصيك
حلما مخضوضرا
يقتاب من اعشابي

— موال الركنى :

العشق والاعياء والابحار
والموج والاعصار
ودقائق السمار
احصنة تغازل الميدان
تنتظر النوارس البيضاء
وغيمة حبلى
بزخة الاطار

— صوت من الداخل :

اغنية فيك انسا
مصلوبة على شفاك
وصوت ذاكرتي
يصخب يصخب يصخب
يتناني ان اكون
حفلة دفاء وعطور
نبضة حب في اعماقك

شعر
مسعود
حديبي

مسعود حديبي
ولاية سكيكدة

مدينة الوهم

شعر: ادريس بوذبية

فوق جداولك المستباحة ..

على أن أمارس يوحي ..

وارحل !!

(٣)

أما تهربين ..

لاعرف شكلك أكثر ..

لاعرف حيك أكثر ..

لأن اتقي ..

لأن اتقي ..

فعمشك فوق احتمال التكنم

فعمشك نيران معبد « بوذا »

تظلين منها ..

نجمية مسافرة في السحاب

وانت يا ليلي بعيني خرقة

تلوح « مشاوير » ورد بأفق الفرح !!

وعبر امتداد القيش ..

اناديك ليلي ..

اناديك حتى الفناء ..

وارحل !!

ادريس بوذبية

ولاية سكيكدة

(١)

تنن الرياح بأقصى المدينة

وللموت عندك طعم الوثن

ببائك يجتمع الفقراء

ليقتسموا الانس والسوسن

وفي كفي « عروة » (١)

تصير البيارق زنايق ..

وليلتنا العشق والأغنيات

فمنذ تكشف لي ، بأن لدي حنجرة ..

فتحت فمي .. فكان الفناء ..

وفي البدء كان الفناء ! ..

(٢)

سكيكدة من سنتين ..

غريب ببائك أعرى

اتأذنين لي بالإقامة ؟

اتأذنين لي بالرحيل ؟

اتأذنين لي أن أموت بعينيك غرقا !!؟

نوارس كل الموانئ

« جان دارك » (٢) كل مساء

تقيم مآذب للحزن والانتحار

على شرف العالم المحتضر

واقبل بالصلب .. بالشنق ..

(٢) جان دارك : اسم لشاطيء بمدينة سكيكدة .

حاشية : (١) عروة بن الورد شاعر الصماليك وسيدهم .

ابن الأرض

بوالطين عبد الحفيظ

— لا تبتس يا سيدي ، ففي هذا المكان ، لن تعدم وسيلة أخرى تكيل بها طريقك .

والزيت الصبب متعبدا ، ويهيم صوب شيخ هرم ، كان يتفقا نزل صقاعة باسقة ، ولم يضي طول وقت ، حتى وجدت عنده ضالتي ، وتم الاتفاق بيننا بعد أن قسمت في حوزة كل واحدنا نصف الطريق .

النقديّة ، اختفى أثرها في أحد الاكواح الديسية ، ثم خرج يتقود بغلا نحيفا ، سلمني لجاهه ووقف يرقب المشهد حائرا مرتابا ، وهو يرى شابا انيقا متحضرا ، يركب البغل بسهولة ، ويتحكم في حركانه ببراية تامة . ولاحظت على وجهه ، لامات استفهام كبيرة ، غير أنني تجاهلناها ، وحيثه بإشارة من يدي ، وباليدي الأخرى ، رحت أحث البغل على المسير ، فالطريق ما تزال طويلة ، مسيرة ساعتين على الأقل .

ساعتان وكون بين أبي وأمي ، واختي « رقية » .

سنتجت حول « كاثون » الفحم من جديد ، ستكون مفاجأة للجميع ، ستؤمن أبي فرحا ، وتطر « رقية » سعادة ، عنديا ترى ما أحمله لها

توقفت السيارة عند المنعطف ، دفعة واحدة ، وانحنى السائق يحدق في المعدادات الصغيرة المثبتة قبائله ، ثم توجه الي بقوله :

— ها قد وصلنا أيها السيد . قلت وأنا أقلب النظر في جملة الاكواح المنداعية ، التي لاحظت لعيني من خلف الزجاج :

— ولكن ليس في هذا الدوار مسكني ، فالدار لما نزل بعيدة . — أعرف ذلك ، ولكن الطريق غير صالحة كما ترى ، وقطع الغيار أصبحت دواء .

قال هذا ، وهم بمغادرة السيارة ، غير أنني أبسكت بكنهه محتجا :

— ولكننا لم نتفق على أن ترميني في منتصف الطريق ؟؟

فرد ببرود واستجداء : — « الله غالب » يا أخي ، فانا لا استطيع أن أنهك سيارتي من أجل دنائير قليلة ، وعلى كل ، الله يسامح ، ان نزل عليك دنعمها .

واسقط في يدي ، ولم أجد ما أريد به عليه ، فنأولته الثمن ، ثم صفت الباب خلفي بمنف ، ورحت أجزر الحجاب المنفخة في مشقة بالغة ، فيها سمعت يعنذر لي بكلمات رقيقة مشجعة :

من حلي ، وفساتين جميلة . وأبي ؟ .. أترأه ما يزال يسرعي الغنم ؟

أترى الأيام قد أنسته تلك النكبة التي مني بها منذ سنوات ؟ . يوم أتى الجفاف على كل شيء ، وكانت الخراف تبوت واقفة !! لقد هد الأمل قواه ، واغسلت الفاجعة كل أماله !! وتلاّت الدموع في عينيه ، يوم وقف يودعي بالمينا ، ويزودني بصناحه القمية :

« سر يا ولدي تراك عين الإله ستجد أهلك دنيا جديدة ، وعالما جديدا ، ومسررات لا عهد لك بها ، ولكن تذكر دائما أنك ابن الأرض ، وأنتك من بلد القحط والجفاف ، والخراف التي تبوت واقفة . تطول الإغصان يا ولدي ، وتعلو ، وتعبث بها العواصف والأتواء ، ولكن الجنور تبقى دائما متصلة بالأرض ، متشبثة بالتراب » .

وشعرت بكلماته تنطبع في قلبي ، وتنقش على جوارحي ، وغالبت دمة كبيرة ، وهو يحثوني بين ذراعيه ، ويهبطني بالغبل والدعوات ، في حين شق الفضاء صوت مزعج ، كرؤس وحش خيالي ، وتحركت الباهرة بعد دقائق ، مزلقة في عالم الزرقعة والشباب ، لتتقيانا على شواطئ الأمل ، والدخان ، والجليد الأسود !! وانطلقا مذعورين ، كجرذان برية جائعة ، نضاجع المياء ، ونغوص في الوحل والذفارة ، وننفض الى كبس الجبل ، نهشه بنهم بحثا عن سراب براق !

وطوال الخمس سنوات التي قضيتها في الغربة ، لم تبرح مخيلتي صورة أبي ، وكلماته التي كانت تتردد بداخلي كأصداء جرس ، في معبد خاو . « تذكر يا ولدي أنك من بلد القحط ، والجفاف ، والخراف التي تبوت واقفة .. » وأنسابي سيدي بخفة ، تتحسس حافظلة النقصود الزورية ، وشعرت بالفرحة تغمر قلبي ، وتفيض على البغل من تحتي ،

فينطلق برشاقة ونشاط . والتقست
انفذ المكان ، كانت الدنيا من حولي
مصبوغة بلون الرماد ، وفي السماء
سحابة سوداء تحجب وجه الشمس،
في حين توثقت كل حركة ، وشل كل
صوت .. !

— ان هذا السكون ينبيء بعاصفة
هوجاء، ووراء هذا الصمت ما وراءه.
ودق قلبي بقوة ، ورحمت استعجل
البطل يعقب حداثي ، بينما بدأت
السحب تتحرك كقطيع من الفيلة
الضخمة ، واخذت العاصفة تهب ،
واكوام الغبار ترتفع في السماء
عشرات الامتار ، مسحوبة بالمواقيع
والرعود وكلها اثنتت العاصفة ،
ازداد تكثر ذرات الغبار المتطايرة
في الفضاء ، وجاهدت للنتقدم الى
الامام ، وانا اشعر بجحات التراب
تصفعني بعنف وتدخل انفي وغمسي
وعيونني ، ويدات كويرات البارد
تنساقط بفزارة ، مذبذبة بسيل من
الامطار ، وفي لحظة فاضت الجداول
والشعاب ، وغمرت المياه كل اخضر
ويابس ، وصعب علي التنفس !!
فانتحيت فوق ظهر البفل ، وتركتني
يمشي على هواء ، وتردد المسكين في
السير ، رغم ما عرف به من قوة وشدة
باس ، ولم اجد مفرا غير الانجاء الى
شجرة « زرور » كبيرة ، ربطت الي
جذعها ، ثم اتخذت منه حاجزا يقيني
شر الرياح والاطمار ..

وخف تساقط المطر بعد لحظات ،
وهدأت العاصفة ، فنهضت وانفسا
اجيل البصر في الخلاء المنكوب
بالعواصف والفيضانات ، ولاحظت
ان بعض الحشائش قد استؤصلت ،
فيما بقي بعضها الآخر يقاوم السيول
المتدفقة من كل مكان ...
وقف شعر رأسي ، وشعمرت
بالوحشة والفرع ، وانا اجد نفسي
وسط عالم خرب لا حياة فيه !!
ثم واصلت السير ، وسط المياه
والاووال ، وانا احرص على تتبع
المناطق الرملية الصلبة ، وبعد
مسيرة ساعة تقريبا ، باتت لعيني

نخلتنا الباسقة تطل براسها من خلف
الاكية ، وشجرة الخروب التي
قضيت تحتها اجمل ساعات صباي !!
وتزاحمت في ذهني المصور
والتساؤلات .

ترى .. اما زالت « رقية » كما
تركناها ؟؟
وبيتنا ؟؟ .. اما زال وحيدا منعكنا
عند سفح الجبل ؟ ام قد صار لنا
جيران .. ؟
وتسلقت المرتفع بسرعة ، لاصطدم
بمنظر رهيب !!
كان الكوخ مهجبا ، والسيول
تخترقه جارية معبردة ، وقد تهاوى
نصف سقفه المغطى بنبات الديس ،
بينما جذرائه الطينية محتفظة ببعض
صلابتها .

وربيت الحقايب ارضا ، ثم نزع
حداثي ، ورحمت اخوض في البركة
الموحلة ، شعرت بالأم خاد في احدى
قدمي ، فاحتللت ، وتخللت العتبة
كانت هناك بعض اواني المطبخ بعثرة
في ارجاء ، وقد امتلأت ماء وطميا ،
وعلى الجدران حصر بال ، ومصابيح
وآلات معلق بالحكم ..
وبذلك اخطأت الكارثة بسلامتهم
بخيلتي !!

رباه .. ايكون الفيضان قد
قد طهرهم ؟! .. العود بعد كل هذه
السنين لاجدهم صرعى ؟! ؟!
ولكن هذا مستحيل .. ! ان
الفيضان لم يكن خطرا الى هذا الحد،
فبماكانه تهدم الكوخ ، وجرف الاواني
والاناث ، ولكن الاشخاص لا .. انهم
يستطيعون النجاة .. واذا نلا بد
انهم قد لجأوا الى احد الكهوف أو
القمم ...

الا ما اتسك ايها الدهر ، اوجعنا
بضربائك مرتين !!
— عم تبحث ايها السيد ؟!
والفتت مذعورا لأعاجب شيخ وتور
ينتصب بين الخرائب كالعلاق ، واذ
لاحظ حيرتي وارتابي عاود السؤال
ثانية :
— ماذا تعمل هنا ايها السيد ؟ .

قلت : — أبحت عن اهلي .
فرد في سخرية مهذبة :

— وهل أنت من فصيلة الضفادع
حتى تبحث عن اهلك في هذا المكان ؟!
يا الهي !! ان هذه البحة في صوته
ليست غريبة علي .. وبلاحه .. !
انها نفس الملامح .. نفس الانف ..
نفس العينين ، نفس الشاربين .
— ايي !! ايي !!

ودفنت رأسي في صدره ، استنشقت
من ثيابه رائحة الزندر والعمرار ،
وشعرت بيده تعبت بشعري ورأسي ،
ثم رفع وجهي اليه وصاح بمنفلا :
— سمر .. سمر .. أتبكي يا

ولدي ؟
فاجبت وانا أمسح دموعا غزيرة
كانت تنهمر على خدي بصيت :
— اواه يا ايي اين امي ورقية ؟؟
— في البيت يا ولدي .. هل جرى
شيء ؟؟

وسقطت عند قدميه وانا اردد في
يأس :
— وها انت ذا ترى حال البيت ..
فاين هما منه ؟ .

وحقد في وجهي بلما ، وشعرت
بتغري في نعمته ، وهو يجيبني :
— ولكن ليس هو هذا البيت
المقصود ، فقد تركناه منذ اسبوع
تقريبا ، بعد ان اصبح لنا بيت جبيل
فيه كوبراء وماء ..

— ماذا تقول ؟ .
— ألم تسع بالثورة الزراعية ؟
لقد تغير كل شيء في غياكب ! وزعوا
علينا الاراضي ، وبنوا لنا قرية جبيلة
فيها المدرسة والمسجد والمستشفى ،
انظر انها تظهر من هنا ..
ودقت النظر حيث اشار بيده ،
وقتت مشوها ، منظر فيض بالجملة
والحياة .

سهول خضراء قد قسمت غصي
هندسة بدعية ، وبيوت بيضاء تتعاقب
في الفة حول عيود من رخام يملوه
فأس ، ومذرة ، ومنجل .

بوالطين عبد الحفيظ
الحروش — ولاية سيكيدة



شعر
محمد بلقاسم خمار

قل بسم الله
اقرأ بالحرف الضاد • الضوء
اكتب بالحرف الضوء
جاهد بالحرف الضوء
ما أروع ملحة الألهام
الباعث في إقباء الياقوت المقعد
حلم وقوف • •

المرسل من أحشاء الرمل
نخيلًا يسعى • • يثر
بين قوافل تحبل خصب خريف • •
ما أجمل منطلقات الحرف الضوء
صفوفًا تزحف خلف صفوف
ويلوح الفجر
يغم سلام الحب الأرض • •
يفضي شمع النص حروف • •
واسم الإنسان
غني المال العربي :
يا ليل • أهان
قد مات الخوف

اسماك النهر تسافر نحو البحر
تصارع جرف التيارات • •
وترجع • تملك قلب النهر •
وطيور الهجرة تملأ بالأمل الأفق
تزحف درب العودة • •
طول المعبر • •
والليت الفاضب تحت السوط
على القضيان يموت • •
ويرفض أن يتحول مثل الهر
ومواكبنا في رحلة صيد الوحش
الجراح خذ الشمس

سارت بالحرف الضوء
لكن سراب غروب الشمس
ولفح صقيع الجو • •
دفعا بالوحش إلى ادغال النفس
فاستعذب موكبنا الأصفر

ريق الأشقر
وقوام الحرف اللاتيني
وكما يتلاشى لون خلف بريق طيوف
وكما يتشم بين أنامل شيخ كاس • •
وكما تتأكل في أغصان المكث سيوف
سكنت في التيه فلول مواكبنا
وتنزع حبلى مواكبنا •
وقفنا صوت العودة
درب الحرف الضوء
ووقفنا تحت ضباب الغربة صرعى
دون لسان • •
دون عيون • •
دون أنوف

الضوء كئيب منكب
مقتول فوق شواطئ حريتنا
بطن منتفخ كالرعب
من جثة طفل بدوي
ولحنه الأعوام السبع
ورياح الأوف • •
ولان الطفل بيتيم الأم
واباه شهيد الحب
في معركة الحرف الضوء
أغرقة - الرء - الفازي المعروف R..
المقام في الروح وفي الدم
كالص على ساقه

والنساء صليب معكوف T...

في العين وفي السمع وفي الفم
يمتصر الفرحه ببديه ..

والهمزة نصر مكتوف A...

يقفأل يقايا من عقبة

ويبهن حبيبة سبويه

الضوء كتيب منكس

شيء نفن دنس

كالماضي الاحمر

كابييه

من ذاكرة الزمن البحري

منبؤذ . منسي . محذوف

لو ان طريق البحر مضاء

مثل طريق الرب

يخرف الضوء

التابع نهرا من اعماق الجب

ابصرنا كيف تقام جسور المشق

جسور الحقد

جسور التهب

على اشلالة رعايا الشعب

باسم الففران .

لكن النهر .. طريق الحرف الضوء

طريق الرب

درب بالفاقة محفوف

يضي للوددة يسقيها

للمشب اللاهت يفره

درب للفللة ، للجب

مرهوب الجانب مكتشف

لا يسلكه من هب ودب ..

الا الانسان العربيان

من ليس له خلف الجدران

سوى الحرمين ..

وليس له في البحر سبب

ولا خلان ..

يا بيت غرامي المهمل

داخل سجن ليس به انوار

وليس له حراس او انوار

ادمنت الخمر . الحزن . التسمر

لاجلك .. بعث المر

لكنك مثل الزاهد

مثل القبر ..

لا وهج الكاس يترك ..

لا الالام .. ولا الاشعار

زرباب الواجم بين ضلوعك مختق

والوهم الحائم فوق زنودك

في غبار

وخيوط عناكيب اهل الكهف

تلف .. وتنسج حولك الف سطار

والرفض لديك ..

خضوع للاقدار ..

يا بيت غرامي المهزوز

ماذا اعطيك .. ؟

كي تعلم انك رغم العزلة والانواء

ورغم الناء — الزاد — الناء

ما زال جمالك يصرخ من عينيك

وربيك مرتعشا فيك

يا لابس اثواب عجوز

ماذا اعطيك .. ؟

غاباتك عاودها الصمت

وكهوفك تزار الغازا

وطيورك شستها الصيف

وجبالك اصداء رموز

هل تدرك انك تحيا الفقر

تمعيش الزيف

وتحت ظلالك .. من قدبك

تسبح كنوز . وكنوز . ؟

ويل للبحر من البر

من قافلة البدو الرحل

من صيحة عقبة اذ يقبل

هتافا بالحرف الضوء

البعبع يا اطفالي مات

غنوا للحب

غنوا للضوء المعاند في الاجيال حياة

او يقتل فوق شواطئنا

اكثر من طفل ..

فيطول وعرض مواقنا

شلال لا يفنيه القتل

غنوا للضاد تشيد صلاة

وبحق نوايا الشهداء

ان يدخل تجار رقيق

من اسرى الحرب

ابواب الرب .





افادات في فصل التحول

شعر
محمد زيتلي

غريبا من البدء كنت
وهاتذا موغل في التفرب
ابحث عن لذة للضياح المركب
عن سفر ينهي في زواياه صمتي

* * *

فغريت فازداد وجهك يا وطني كبرا فكبرت
تفريت فانساب وجهك سيلا بقلبي •

* * *

اطل على شجر القلب ، ابصر هذا الفسيل المعلق في
كل زاوية من زواياه اسال عنه ...
فيختصرون الجواب وينصرفون ...

اطل على النهر ، ابصر هذي الشجيرات مينة وسط
الماء اسال عنها ، فيختصرون الجواب بايراد فصل الشتاء
وينصرفون
واسال ما بال هذي الجوع يحاكمها الجوع ، يختصرون
الجواب بايراد فصل التحول ، اقصد فصل الضياح
وينصرفون •

فابقى وحيدا

اطل على شجر القلب ثم يعذبني الانتفاء لقائمة
الفقراء •

محمد زيتلي
قسطنطينة

ضجيج يضاجعني ، وذهول يرافقتي عبر هذي
المسافات ، الليل لا ينتهي ، والصباح يضاجعه الليل ،
يا ايها الليل قف وبدون مفاوضتي ، فانا احمل الان قبلة
لتنالك ، قف فانا الان اعرف وجهك ، قف من جميع
الجوانب انت محاصر •

* * *

وحيدا ، يساهرنى منك طيف اعوذ به من صراخ
يهزتي اربا ثم يطعمني قطط الليل ، والليل لا ينتهي •
والنهار قعدناه ، منذ الطفولة ندلم بالبحر ، بالخبز ،
بالشمس ، ندلم بالافق يمتد طولا وعرضا •

* * *

ويكبر اسمك كالحلم ، كالبعد ، كالايل المندفق في
القلب ، يا من رؤاك تعذبني عبر هذي المفاوز ، موحشة
هي هذي المسالك ، متعبة هي هذي الدروب الطويلة ،
مبحوحة هي هذي الاغاني •

* * *

من البدء كنت غريبا
من البدء كنت حزينا
فلا تفتحوا الان بوابة القلب —
لا تدخلوه •

* * *